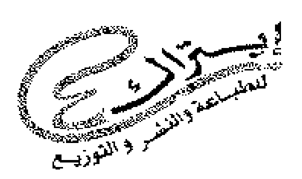


الصحة النفسية للطفل

أ.د. عبد الباري محمد داود

إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع

الصحة النفسية للطفل

الدكتور / عبد البارى محمد داود
كلية الآداب - جامعة بنها

٢٠٠٤

رقم الإيداع

٢٠٠٤/١٩٣٨

الترقيم الدولى .I.S.B.N

977-383-005-5

ايتـــراك للنشـــر والتـــوزيع

طريق غرب مطار ألماظة عمارة (١٢) شقة (٢) ص.ب : ٥٦٦٢

هليوبوليس غرب – مصر الجديدة

القاهرة ت : ٤١٧٢٧٤٩ فاكس : ٤١٧٢٧٤٩

مقدمة عامة

الحمد لله كما يجب أن يحمد، والصلاة والسلام على حبيبه محمد صلى الله علية و سلم. إن الإسلام شرعة ومنهاجا يرعى الإنسان طفلاً وشيخاً وكهلاً، بل ويرعاه فى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات مرورًا بالخلق والتكوين والنشأة والتربية حتى لقاء الأحبة محمد وحزبه.

وفى إطار ذلك كله، يستهدف الإسلام النفس الصافية الناصعة البياض البعيدة عن الحقد والغل، والروح المطمئنة والوجدان السوى والشعور بالرضاء والفرح والسعادة والثقة بالنفس واحترامها فى طاعة ربها.

ويأمر الإسلام بالتحلي بالفضائل الخلقية كالقناعة والزهد والتقوى والورع والإحسان وغير ذلك من السمات النفسية الحميدة كالتعاون والإيثار والأخوة وحب الآخرين ومساعدتهم لاسيما إن كان ذلك من القرب إلى الله رب العالمين ومن العبادة التى هى غاية الخلق.

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) (الذريات:٥٦)

والله سبحانه البصير الحكيم الخالق الرازق.

(أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك:١٤)

يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) (الشمس:٧-٨)

ومن ثم فالنفس فى حاجة إلى الإصلاح والتغير والتعديل والتقويم والتطور.

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (الشمس:٩-١٠)

وليس هناك أبلغ من تعبير الرحيم الرحمن فى كتابه القرآن:

(إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد: من الآية١١)

بين كبح جماح النفس وضبطها وبين استقامتها وتزكيتها يحتاج المرء دائما إلى عون الرحمن وإرشاد الوالدين والتذكير بالقرآن.

وفى تلك الأثناء من المجاهدة والمحاسبة والمراقبة تميل النفس إلى ما فيه ضررها وتزين للمرء ما فيه خطر عليها ومن ثم يلزم وجاء ووقاية حتى لايقع المرء فريسة نفسه الأمارة بالسوء، فيقع فى براثن الأمراض والاضطرابات النفسية مما يصعب معه الشفاء.

والمنهج الذى اعتمدناه هو منهج القرآن لإيماننا أن مَنْ يُرِدْ الوجاء والوقاية والحماية والحصانة فعلية بالقرآن.

ومن يرد الشفاء والعافية ومداوة النفس فعليه بالقرآن. والطفل فى رعاية الإسلام يجد ما يكفل له صحة نفسية سوية سليمة فهل منا من يفقه دينه ويرعى شرع ربه ويقتدى بحبيبه.

فالطفل فى مراحله الأولى يحتاج إلى صقل وتربية وحصانة ولا يكون ذلك إلا باتباع كتابً الله فى توجيهاته وشرع الله فى كفالته وحضانته وما أشار إليه رسول الله فى سنته ومسيرته.

فيا أيها الإنسان:

صلاح نفسك بالأخلاق مرجعه فقوم نفسك بالأخلاق تستقيم

والنفس من خيرها فى خير عافية والنفس من شرها فى مرتع وخم

والناظر فى حال بنى آدم يجد العجب العجاب !!!

فقد شاع الفساد والتحلل – بشكل أو بآخر– من قيم الشرع وحدوده.

وكثر ما لايرضى الله ورسوله وقليل ممن عصم الله لايزال قلبه حي ينصح ما وسعة النصح عسي الله أن يهدى به رجلاً واحداً.

ونحن نشير هنا فى إيجاز إلى:

- الغاية من خلق الإنسان!؟ اجتهاد فى فهمهما والسعى إلى تطبيقها.

- بداية الخلق و التشريع الإلهي لبنى آدم بما يكفل له الطمأنينة والخير فى الدنيا والآخرة ؟

- رؤية شمولية لخلق الإنسان وتطوره ونموه حاجاته ومطالبه فى إطار من التصور الإسلامي للخلق والنمو.

- لمس بعض الجوانب التى يجب مزيد من الاهتمام بها من النمو الخلقى والدينى والاجتماعى والنفسى لأطفالنا.

- تحقيق بعض من جوانب المنهج الإسلامي فى الاستناد لآراء نفسية إسلامية تتصل بعلم نفس النمو لأحد المربين والعلماء والوعاظ المسلمين وهو أبو الفرج جمال الدين ابن الجوزى إمام الوعظ والفقه والتربية.

ومن ثم فقد جاءت دراستنا على النحو التالى:

الفصل الأول: بعنوان "عقيدة الإيمان والوجاء النفسى"

حيث نعنى بالوجاء التحصين والوقاية من الآفات والرذائل

الفصل الثانى: تناولنا فية النماء الإنسانى وشرحنا فية مراحل تطور ونمو الإنسان منذ بداية الخلق كما جاءت فى القرآن.

الفصل الثالث: عرضنا فيه لمرحلة الطفولة والصحة النفسية وكان الحديث عن الفطرة والحاجات والدوافع وعلاج بعض الاضطرابات كالحسد والغيرة والشعور بالنقص وضعف الثقة بالنفس.

الفصل الرابع: تناولنا فيه الأمن النفسى للطفل من خلال رعاية الوالدين والأسرة والمدرسة لنفسية الطفل وتكوين شخصيته.

الفصل الخامس: إشارة موجزة للصحة النفسية في علاقتها بشمولية التربية، حيث أشرنا إلى التربية الاجتماعية والخلقية والنفسية كما جاءت في كتاب الله.

وقد ذيلنا البحث بقائمة من المراجع بعد الكلمة الختامية ولم ننس بعضًا من الفهارس التي توضح وتسهل البحث على القارئ الكريم.

والله نسأل أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم ويجعله مقبولاً لديه، والله ولي التوفيق.

كلية التربية – جامعة بنها

قسم الصحة النفسية.

٦ ذو الحجة سنة ١٤٢٤ هـ

فبراير ٢٠٠٤ م

الفصل الأول

عقيدة الإيمان والوجاء النفسى

- مراحل نمو الإنسان عند ابن الجوزى (جمال الدين القرشى التميمى)
- مراحل النمو بين علماء الإسلام وعلم النفس
- التفرد الإسلامي في منطقيه الحصانة والوجاء
- رعاية الأبناء فى الأرحام، وتوجيه إسلامى للبنات
- عقيدة المسلين وغاية الوجود والخلق
- الطفولة.. وغرس الإيمان وتعليم القرآن.

عقيدة الإيمان والوجاء النفسى

الحمد لله ولى كل حمد وثناء، والصلاة والسلام على رسوله سيدنا محمد خاتم الرسل والأنبياء، وعلى صحبه وأتباعه نجوم الاهتداء والاقتداء، وبعد

فالحمد لله الذى جعل الأعمار مواسم، يربح فيها ممتثل المراسم[١]، ويخسر المضيع الخير الحاسم، فهى موضوعة لبلوغ الأمل[٢] ورفع الخلل، زائدة الأرباح لمن أتجر[٣]، مهلكة الأرواح لمن فجر، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر، والسيئة ترد المستقيم إلى حال المعتر[٤] وبهذا العمر اليسير يشترى الخلود الدائم فى الجنان، والبقاء الذى لا ينقطع لا كبقاء الرحمن ومن فرط فى العمر وقع فى الخسران. والله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فينبغي للعاقل أن يعرف قدر عمره وأن ينظر لنفسه فى أمره، فيغتنم ما يفوت استدراكه، وربما جعل بتضييقه هلاكه.

وما أحوج الإنسان إلى هداية الرحمن والخالق المنعم الحنان المنان لم يخلق الإنسان عبثا (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ) (المؤمنون:١١٥)

بل خلقه وشرحه له لما خلقه، منذ آدم عليه السلام، بل ومن قبل ولننظر إلى خلق الجان وشرع الإسلام، وزد على ذلك بعث الرسل إلى سائر الأنام لتبليغ منهج الرحمن وإرشاده لبنى الإنسان.

---

(١) المراسم: رسمت له كذا: امرته به ـــ { الوسيط (١/٣٤٥)} والمعنى:اتبع ما امر الله به.

(٢) فهى أى الشريعة موضوعة لبلوغ الامل

(٣) راجع سورة الصف (الأيات ١١،١٠)

(٤) المعتر هو الذى يرجع إلى عادة تسوء تركها {ا لوسيط (٢/٥٨٢)}، وما ذكر قبل مصداقا لقول النبى صلى الله علية وسلم (من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة،فإن عملها كتبت له بعشر أمثالها إلى سبعمائة وسبع أمثالها فإن لم يعملها كتبت له حسنة) الحديث رواه أحمد (٢/٢٣٤) وابن حبان (٣١) موارد وأبو عوانة (١/٨٤)

(فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) (النمل: من الآية٩٢)

وأحد علماء الإسلام ممن تربُّوا على منهج القرآن وسنة النبى العدنان كان فى جُلِّ مؤلفاته وسائر علمه قرآنى نبوى سلفى.

ولأن القرآن أرشد إلى طبيعة الإنسان، وخلقه، ومراحل نموه وتربيته، وعلمه وتعليمه وآدابه وقيمه ومثله والغاية من خلقه والسنن الربانية التى تملأ حياته، وفقه تدينه والتزامه وأخلاقه وعاداته وقدوته وأسوته وإرشاده... ولم يغفل منحه الفطرة وعطاءه الهداية ومنته عليه بالشرع.

وجاء النبى العدنان قرآنا يمشى على الأرض، فى تمام سائر الأنبياء واكتمال لدين الإسلام. إن الدين عند الله الإسلام.

أو الرب الرحمن قد من علينا بالعالم الإمام، الحافظ شيخ الإسلام، محيى السنة أبو الفرج عبد الرحمن (ابن الجوزى)

فى رد على من زعم جهلا، ونسب خطأ علم نمو الإنسان إلى علماء الغرب من نفسانين وتربويين وقد سرنا على نهجهم غرورا بهم حتى فى أقوالهم المتناقضة والمتردية فى النمو الروحى والخلقى وفى تدين الإنسان وفى خلط الفطرة والوراثة واللجوء إلى المادية والتجريبية وإغفال الحكمة الإلهية.

وتأبى الطباع إلا أن يكون العلم مرشدًا إلى الدين، والدين منبع العلم والاطمئنان.

جاء العالم الهمام وعرض لنا من رسالة "تَنْبِيهُ النَّائِمِ الغَمْرِ عَلَى مَوَاسِمِ العُمْرِ" التربية الإسلامية ومراعاتها لمراحل نمو الإنسان. مهتديًا بالقرآن فى إشارته لكل مرحلة من مراحل نمو الإنسان ما يناسبها من العلم والأدب والسلوك، الذى به يستقيم حالها.

وهذا ما غفلة علماء النفس الآن.

وقد قسم عمر الإنسان إلى خمسة مراحل وهي لديه مواسم يجب ألا تمر إلا بالظفر بما فيها من نعيم وثواب وكد وتعب لخلود الراحة ونعيم الجنة والفوز بالرحمة.

فهي خمسة مراحل للنمو

وخمسة مواسم تمثل العمر

يتربى المرء فيها على أن يتزود لها بما يناسبها من علم وخلق وسلوك بالعقيدة والتطبيق، بالعبادة والمعاملة

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) (الذريات:٥٦)

(وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (البينة:٥)

(إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (العصر:٢-٣)

(هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) (البقرة: من الآية٢)

(وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران: من الآية١٣٤)

(وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (آل عمران: من الآية١٤٦)

ولأن علماء الإسلام في اهتدائهم بالقرآن قد أنعم عليهم الرحمن بمعرفة وعبقرية فذة ومعرفة فياضة بأغوارالنفس والمراحل والأحوال النفسية والصفات الإيمانية والإشراقات النورانية والتزكية والترقية حتى لذة العبودية ونعمة الربانية، فقد قسم وصنف مراحل نمو الإنسان إلى المراحل التالية:

المرحلة الأولى: وهى من سن الولادة إلى البلوغ أى سن خمس عشرة سنة.

المرحلة الثانية: وهى من زمان بلوغه إلى نهاية شبابه إلى تمام خمس وثلاثين سنة.

المرحلة الثالثة: وهى من نهاية شبابه إلى تمام خمسين سنة، وذلك زمان الكهولة، وقد يقال كهل لما قبل ذلك.

المرحلة الرابعة: من بعد الخمسين إلى آخر العمر فهو زمان الهرم.

ولم يغفل ابن الحوزى[١] المرونة وعدم التعصب لأمره وفتح الرأى لغيره فقال:

وقد يتقدم ما ذكرنا من السنين ويتأخر.[٢]

ولأنه يعرض فى كل مرحلة نمو ما ينفع النفس فيها ومتطلبات مهام النحو فيها – على هدى الرحمن فى القرآن وسنة النبى العدنان وفقه الصحابة الكرام وغيره من علماء الاسلام – فكأنه قسم المراحل إلى:

الطفولة ـــ الشباب ـــ الكهولة ـــ الشيخوخة ـــ الهرم

ونلحظ أن مراحل الطفولة عنده

من سن الولادة وحتى سن خمس عشرة سنة

وقد أشار علماء نفس النمو Developmental psychology وعلم النفس التربوى ووثائق حقوق الطفل العالمية ومعاهد دراسات الطفولة، إلى

---

(١) راجع فى ترجمة ابن الجوزى: البداية والنهاية لابن كثير (١٣/٢٨ـــ٣٠) الأعلام للزركلى (٣/ ٣١٦،٣١٧) شذرات الذهب (٤/٣٢٩ـــ٣٣١) وفيات الأعيان (٣/١٤٠ـــ ١٤٢) رقم ٣٧٠ ذيل طبقات الحنابلة (١/٣٩٩ـــ٤٣٣) رقم ٢٠٥.

(٢) أبو الفرج بن الجوزى: تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر.(طنطا: دار الصحابة للتراث،١٩٩١/١٤

أن مرحلة الطفولة تمتد حتى سن الثمان عشرة سنة، حتى صار عرفًا لدى الجميع.

فالمرحلة التى تحتاج إلى الرضاعة والتربية والود والرعاية والمحبة والحنان والتوجيه كمرحلة عمرية وقد قُسمت إلى ثلاث مراحل عمرية يتميز فيها الطفل بخصائص جسمية ونفسية محددة.

وهذه المراحل الثلاث يتميز بها الكائن الإنسانى بالصيرورة إلى النمو الجسمى والارتقاء العقلى والمعرفى من الضعف إلى القوة. والطفولة بهذا المعنى تنقسم إلى:

١- مرحلة الطفولة المبكرة من سن سنتين إلى أقل من ست سنوات.
٢- مرحلة الطفولة الوسطى من ست إلى أقل من تسع سنوات.
٣- مرحلة الطفولة المتأخرة من تسع إلى نحو اثنا عشر عاما يعقبها مرحلة البلوغ والمراهقة.

ويرتبط بالنمو والارتقاء العقلى المعرفى قدرة الكائن الإنسانى على الاستيعاب والفهم والتحليل والنقد وغير ذلك من قدرات معرفية، وقد ارتبط بتلك الحقائق إمكانية توظيفها فى العملية التعليمية من المرحلة الابتدائية إلى نهاية المرحلة الإعدادية. (١)

وأشار رحمه الله إلى المرحلة الأولى من الولادة حتى سن البلوغ بقوله:

إن هذه المرحلة تتعلق بالوالدين ودورهما فى تربية وتأديب الصغار وتعليمهم، وما الذى ينبغى أن يتعلمه الصغار فى تلك الفترة المبكرة من حياتهم ثم نبه إلى أهمية استثمار ذهن الصبى ومعرفة الذكى العبقرى منهم من غيره بطريقة تنم عن ذكاء صاحب كتاب الأذكياء وعبقرية عالم بأحوال

---

(١) عبد البارى محمد داود: الطفولة فى الميزان العالمى، (كفر الداور: دار فجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م) ١٧.

النفس وتحليلها وتشخيص الداء وتعيين الدواء ثم انتقل إلى مرحلة المراهقة للصبي.

وهي بداية الشباب والبلوغ أو قل نهاية الطفولة، فأوصى بضرورة تزويجه في هذه الفترة. وتلك لعمرى نصيحة غالية وموعظة بليغة وحسن فهم وأفضل حل حتى نمنع استشراء الانحلال والفساد وانتشار الاستمناء والزواج العرفي والاغتصاب الجنسي والكبت النفسي والتبذل الرديء والكلام البذيء من شباب دنيىء.

وقد بين أهمية التبكير بأمر الزواج في هذه الفترة، وماله من فوائد وما في عدمه من مضار.

وهكذا عرض للمرحلة وسماتها ومتطلباتها ولزوم اغتنامها. صحيح أنه ليس بالنفساني المتخصص ولكنها زيادة الرحمن لمن اهتدى بالقرآن فحصل عنده ما لم يظفر به أدعياء العلماء في زمان الإدعاء.[1]

وانتقل إلى كل مرحلة في إيجاز ينبئ عن حكمة القائل وسعة علمه ويظهر أنه إذا ترك له الكلام لكان فارس الميدان كعالم متخصص في أحوال النفس عند الإنسان وتربوى ممعن في فهم القرآن واستجلاء الأحكام والأفهام والتدليل على ما يقول والبرهان.

فينتقل من الطفولة إلى الشباب إلى الشيخوخة ثم الهرم وصولاً إلى الاستعداد لمقابلة الرحمن باطمئنان بعد اعتناق الإسلام والسير على هديه مع سائر الأنام يحب للحنان وسعي لرضاه سبحانه جل في علاه.

ورغم إيجازه واختصاره فقد جمع بين القرآن والأحاديث والآثار للسلف الصالح في بيان اغتنامهم أو ندمهم وكدهم أو سهوهم ثم هداية الله لهم.

---

(١) والعالم بالقرآن عالم بخبايا النفس وآفاتها وطريقة مداواتها وترويضها وتزكيتها، وليس أصلح للصحة النفسية من الاهتداء بنور كتاب الله الكريم.

ونخال أننا في حاجة إلى فهم وزيادة بيان سيراً على هدى القرآن كما فعل العالم الهمام، فعزمنا على الاستزادة من كتب التفسير للقرآن وأحاديث النبى العدنان وسيرة السلف الكرام وآراء علماء الإسلام كابن القيم وابن تيمية وابن خلدون وابن سينا والغزالى وبن رافع الطهطاوى... وغيرهم، حتى علماء نفس نمو وتربية الإنسان كي نفهم النمو ومراحله ومتطلباته فى دراسة تتبعية مقارنة تأصيلية لروح علماء الإسلام في فهم النمو والتربية واستنباط وتطبيق ما فى الأذهان فى إطار الوعى بغاية الخلق ومنتهاه وإلى الفوز بالنعيم المقيم فى الجنان.

فى اقتناع تام بسلامة الاهتداء بعقيدة الإيمان والتوحيد والإسلام وصحة النظر فى الآراء من خلال فقه القرآن.

وعود حميد للتراث المجيد والعمر المديد والذخائر والرأى السديد والاجتهاد الجديد في تناول النمو والارتقاء والتأهيل للمفاهيم حسب ديننا وفقهنا وديدن فطرتنا.

ولا نبالغ فى القول عندما نعطى علماء الإسلام ما يستحقونه من حمد وثناء ولا يفهم ويعلم فضلهم ويقره إلا من عمر الإسلام قلبه واستشعر الظلمة والغمة والتيه الذى نسير فيه عندما نبعد عن الهدى والنور والقدوة التى أمرنا بحسن الاتباع فخالفنا.

ولكن النداء يتكرر ويتجدد يا باغي الخير أقبل

زادهم هدى وآتاهم تقواهم ورحم كدهم وتعبهم

وإخلاصهم، فماتوا واستمر شذى عطرهم يفوح فى الآفاق

أن اشهدوا أنى إلى الله أسعى ولرضاه أبغى وأنسًا به وشوقا

إليه وحبًا له وفيه. فكانت الأنفاس والأعمال والأقوال خالصة لله ولا شك أن الأطفال والشباب في عصرنا – رغم الدعاية والسعي المحموم للكتابة عنهم وخدمتهم – مهملون مُضَيَّعُون.. مغشوشون مَضَلَّلون.. في إعلام فاسد يزين الضار ويقبح النافع، ويصوب الخاطئ، ويخطئ الصواب، ويمجد الرذائل والقبائح، ويلهي عن المحامد والفضائل.. حتى أطفالنا لم يسلموا، بل هم الهدف والصيد الثمين للإضلال والغواية والبعد عن الدين حتى صاروا تتخطفهم العقائد الفاسدة وتتجاذبهم التيارات الفاشلة المنحرفة.. لا مُوَجِّه يوجِّههم نحو هدف شريف.. ولا قائد لهم يقودهم صوب غاية حميدة ولا مُربي يعطيهم جُهْدَه واهتمامه، وعطفه وحنانه، فلذلك هم في ضياع.. وفراغ وصراع.. لا تمتد لنجدتهم يد، ولا يوضع لمأساتهم حد.. ولا تعالج أزماتهم بالجِدّ. [1]

ألم تر إلى أولادنا وهم يصرخون ويتصايحون ويسبون ويتشاتمون وفي أوامر الله والدين مفرطون وللإساءة متميزون وللإفساد عبقريون ومجددون وللأدب مضيعون ولوالديهم مسيئون وعن العلم نازحون وللقرآن ناسون ولحفظ الأغاني هادفون وللرقص مشيعون وللهراءات مصدقون وعن السلف لا يعلمون وللاعبي الكرة مناصرون ومحبون ولحمل أعلامهم وأسمائهم من الأساتذة المتعصبون، وللعبادات والصلوات لا يؤدون بل وللواجبات يكرهون وإخوانهم يمدونهم في الغي مدا والشياطين تؤزهم أزا.[2]

العيب منا أم من سوانا !!

---

(١) محمد أحمد كنعان: أزمات الشباب أسباب وحلول، (للا تنسى، (٣)) (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٩١م) ٨ بتصرف.

(٢) وإنا لننشد من الآباء والمربين والمصلحين أن ينهضوا بالدور المنوط بهم، حتى لا تستفحل الفتنة ويشتد البلاء هنالك تبلوا كل نفس ما كسبت وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

هل قمنا بتحصينهم بالإيمان الذى أرشد إلى حسن اختيار الأمهات الفضليات والمربيات المؤمنات وإلى حسن العشرة والدعاء عند الجماع فى إشارة لذكر المنعم الهادى فى كل وقت حتى فى هذه، هل اتبعنا شرع الإسلام فى الحمل وابتعدنا عن التدخين وسب الدين وترك التعليم للأم وللأب سائر وسائر المفسدات والمهلكات من التبرج البذىء والخلق الدنىء والتحلل الفاسد، جالب الشياطين إلى بيوت المسلمين وطارد الملائكة المكرمين !؟ هل زادت صلتنا بكلام الله العزيز العليم، القائل فى كتابه الكريم:

(أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك:١٤)

وإذا ما عددنا الأسباب فلن ننتهى من حصرها، فالطامة عمت والفساد استشرى ولكن هلى نعى ونتنبه ونستحى من الله أن يرانا على تلك الأحوال والأهوال !!

فأطفالنا يتخرجون ويتربون – على – يد غيرنا – لا يتقنون شيئا نافعا ألسنتهم مهتزة، لا تجيد عربية ولا أعجمية وأفكارهم، لا هى شرقية ولا غربية، ولا إسلامية ولا جاهلية... أنصاف متعلمين أنصاف مواطنين.. وأنصاف مسئولين إذا تولوا مسئوليات. [(١)]

والكل ممن يحملون ويفطنون لهذا الهول العظيم والفساد الجسيم فى هم وغم، وجيوش الانحلال والتعرى والإلحاد تستشرى وتتوالى حملاتها الفاسدة.. فهل يظل الحال هكذا؟ [(٢)]

وقد غدا المسلمون يسألون فى لهفة وعجب !

أى مصير نحن ذاهبون إليه بأبنائنا؟

---

(١) السيد عبد الستار المليجى: أصنام فى ساحة التعليم دعوة لإنقاذ الأمة قبل فوات الأوان (القاهرة: مركز الإعلام العربى، ١٩٩٤م) ٣، ٤ بتصرف.

(٢) إن ربك لبالمرصاد: والله تعالى إذا غضب لعن.. ولعنته لا يقف لها شىء ويحذركم الله نفسه، فانظروا فى أنفسكم ومن نسلكم واتقوا الله.

ويئنون ويصرخون.. ولا ملجأ من الله إلا إليه.. إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.. أفلا نجأر إلى الله !!؟ نستعين به فى فهم النفس الإنسانية وطبيعتها وغوائلها وسبل إرشادها وهدايتها وتربيتها وتزكيتها والسمو بها بمنهج الله رب العالمين وبالإسلام الدين وبمحمد النبى الأمين لغرس العقيدة فى القلب والواقع والتمكين بقانون الله والسير على شرعه الحكيم وبما وجه إليه قرآنه الكريم وتطبيق السلف والمهتدين.

حتى نكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وممن تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر نراجع فعل السابقين والمحدثين على المنهج الإسلامى السليم فما وافقه أخذنا به وكانت العزة بحمله والمنافحة عنه وجدع أنف المكابرين وما خالفه تركناه لأهله وكانت الكرامة فى الإنفكاك عنه غير مبالين به عازفين عنه ومقللين من شأنه عن بصيرة ووعى حتى يغلب الحق وينتشر الخير وعن ثوبان أن النبى العدنان صلى الله عليه وسلم قال:

"أفضل الدينار: دينار ينفقه الرجل على عياله.. ودينار ينفقه الرجل على دابته فى سبيل الله، ودينار ينفقه الرجل على أصحابه"

قال أبو قلابة[1]: بد العيال ثم قال:

"وأى رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال له صغار.. يعفهم الله به.. ويغنيهم الله به" رواه الترمذى باب أدب الولد والحديث حسن صحيح. فإنقاذ الطفل من الضياع فى حال إهماله.. لا سيما حال الصغر التى تنقش فيها الطباع.. وتغرس العوائد.. وتسليحه بالأخلاق الفاضلة عفة تنأى به عن مواطن الابتذال وقناعة لا تحوجه إلى الآخرين بحيث يشب عن الطوق سوى الخلق، مستقل الشخصية، حتى إذا تخطى عتبة البيت، وتعامل مع المجتمع

---

(١) أبو قلابة: من التابعين واسمه عبد الله بن زيد بن عمرو.

كان مزوداً بهذه الفضائل والتي يصب منها في مجرى الحياة الاجتماعية فإذا هي تمضي به وبغيره على أوفى معاني العفة والإباء. [1]

والله سبحانه وتعالى خلق بني آدم وكرمهم وحملهم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا !

بأي شيء فضلهم؟ وهل خلقهم عبثا؟

تعالى سبحانه عن العبث ولم يتركهم سدى بل خلقهم وكلفهمم بتكاليف أمرهم ونهاهم ووصاهم بوصايا وابتلاهم بابتلاءات وامتحنهم بمحن ثم هو يوم القيامة جامعهم ورسائلهم عما كلفهم به وعما أمرهم وعما نهاهم وهل هم قد قاموا بما كلفوا به، وامتثلوا ما أمروا به، وانتهوا عما نهاهم عنه وقاموا بما أوصاهم به أم لا؟!

وكان مما كلف الله بني آدم حسن رعاية الذرية وإصلاح النسل والسعي لاستنقاذ النفس مع الأهل والأولاد من النار. [2]

قال الله سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (التحريم:٦)

وقال سبحانه (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ) (النساء: من الآية١١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راع في بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها" [3]

---

(١) محمود محمد عمارة: تربية الأولاد في ظل الإسلام، ط٢ (القاهرة: دار التراث العربي، ١٩٨٤م) ١٤

(٢) مصطفى العدوي: فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء، (الزقازيق: دار بن كثير، ١٩٩٨م ٤.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٠٤) ومسلم (١٨٢٩) وغيرهما من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً.

وقال النبى صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم "وإن لولدك عليك حقاً".

ذلك لأن الأبناء أمانة وضعها الله بين يدى الآباء، وهم مسئولون عنها، فإن أحسنوا إليهم، بحسن التربية، كانت لهم المثوبة، وإن أساءوا تربيتهم استوجبوا العقوبة، فالرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والأبناء يخلقونن مزودين بقوى فطرية تصلح أن توجه للخير كما تصلح أن توجه للشر، وعلى الآباء أن يستغلوا هذه القوى ويوجهوها وجهة الخير، ويعودوهم العادات الحسنة.[١]

يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم (أكرموا أولادككم وأحسنوا أدبهم) [٢]

ولما كان الأولاد هم ثمار القلوب وعماد الظهور، وفلذة الأكباد.. نصح الإمام ابن الجوزى ولده بنصيحة تربوية بليغة غالية وقد أطلق عليها:

(لفتة الكبد إلى نصيحة الولد). [٣]

تناول فيها ما تميز به الإنسان على سائر الخلق وتكليف الله له وامتنانه عليه بالعقل والشرع والرسل وجعل له طريقا سويا وصراطا مستقيما وثوابا موفورا بحسن العمل مع العلم وبعلو الهمة يترقى الإنسان وتزكو نفسه وتطمع فى أعالى الجنان ومجاورة العلى الرحمن فى الفردوس الأعلى مع خير الأنام بمعرفة الله تعالى بالدليل واليقين وصدق الحبيب والإرشاد إلى

---

(١) أبو الفرج بن الجوزى: لفتة الكبد إلى نصيحة الولد؟ تحقيق: الشحات الطحان (المنصورة: دار الكلمة للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م) ٥ من مقدمة المحقق.

(٢) أخرجه ابن ماجه فى الأدب (٣٦٧١) من حديث أنس بن مالك، وفى الزوائد: فى إسناده الحارث بن النعمان وإن ذكره ابن حبان فى الثقات، فقد لينه أبو حاتم.

(٣) أبو الفرج بن الجوزى: لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، مرجع سابق وراجع بحثنا عنها فى مؤلفنا: التربية الخلقية وأثرها فى شخصية الطفل.

العلوم النافعة ولم ينس أن يشرح أحواله ومجاهداته وكده وجهده ليكون فى ذلك قدوة لولده وأردف ذلك بقيمة الوقت والحياة أنفاس معدودة وفى القيامة يرى المرء خزانة فيها أعماله فيندم على التفريط فى أنفاسه، فأرشد إلى التفكر والتدبر وشغل النفس بما هو خير لها بالعلم النافع وقد وضع له ولولده ولسائر الأطفال منهاجاً يوميًا لإجادة العلم السلفى القرآنى النبوى فى صلة دائمة ووثيقة بالخالق الرحمن الحنان المنان العلى الأعلى الفرد الصمد.

وقد استمر في وصيته ونصيحته وسنذكر منها عندما تقتضى العبارة ونحتاج إلى الإشارة.

وقد كان الغزالى على الدرب قائداً فى رسالته "أيها الولد" وابن سينا فى سياسة الصبيان وغيرهم الكثير..

فعلماء الإسلام أصحاب رسالة إصلاحية شاملة، تخاطب الناس فى كل عصر ومصر. ومن ثم، يبقى الإسلام دائماً بلسم جراحنا الشافى لأنه مع هذا وقبل هذا من لدن حكيم خبير يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وهذا سر النجاح الساحق الذى أكدت به التربية الإسلامية فعاليتها.

وللأسف فى تربية الأطفال كثر المقلدون والأدعياء فى محاولات متكررة لتعكير هذا النبع الصافى فى مستهل حياته حتى يمارس دوره بعد ذلك. شخصية مشدودة إلى مذاهب معوقة تنسيه عمله الرئيسى فى هذه الحياة كخليفة لله فى أرضه وتطفئ فى كيانه جذوة الحماس للحق الذى أقام الله عليه الكون.

بل وانتبهوا إلى ذلك الغزو والتدليس والميوعة والتفريط واستغلال البنات المسلمات واستغلالهن لأغراض دنيئة. [1]

---

(١) محمود محمد عمارة: تربية الأولاد فى ظل الإسلام، مرجع سابق، ٨.

ونطمع أن يرزقنا الله من فضله حتى نذكر للناس ما هم فيه وهم أعلم بحالهم ولكن من باب التذكرة وإقامة الحجة والنصح للمسلمين والمسلمات

يا أيها الأباء انظروا وتزودا وتأنوا وتمهلوا وتدبروا

كيف يفكر أطفالكم؟ وماذا يعلمون عن ربهم؟ وماذا يعرفون عن قرآنهم وعن نبيهم وعن سلفهم وعن علمائهم؟

ماذا يأكلون ويشربون ويرتدون ويلبسون !!!

وكيف وعن أى شيء يتكلمون؟ وفيما يخوضون؟

ألا، فلتحذروا يوماً لا ينفع فيه مال ولا بنون.

هذا وقد فصلت التربية الحديثة فترة الطفولة إلى ثلاثة مراحل رئيسية:

الأولى: من الولادة إلى سن ثلاث سنوات.

الثانية: من سن ثلاث سنوات إلى حوالى الثامنة.

وتنتهى الثالثة عند بدء المراهقة. أى أن فترة التنشئة والتربية تواكب الطفل من ولادته وتستمر حتى تكوين عناصر الشخصية وبدء سن التكليف.(١)

ليهتف ويقول (**إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ**) مريم ٣٠.

(**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**) الصافات:١٠٢.

ويتناول القرآن الكريم فى مواضع كثيرة خلق الإنسان ونموه، ولنا فى ذلك بعون من الله عرض وافي. فالقرآن العظيم كلام حكيم بإعجازه العلمى والمعرفة النفسية المتضمنة فيه يحدد لنا وجهة علمية هادفة لدراسة النمو، بيد أنه يحتاج إلى أولوا الألباب ذوى البصائر والإخلاص. فلنتذكر ففيه الفائدة

---

(١) المرجع السابق، ١١ وانظر: التكامل النفسى ليوسف مراد، ٩٠.

للمربين وعلماء النفس والأجنة والمحدثين وفقهاء الدين ومفكرى المسلمين. فى تصور شمولى تكاملى مترابط متعانق متعاضد لا متعارض.

(فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ) الطارق ٥ .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) الحجرات ١٣.

(أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ) يس ٧٧.

(إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ) الإنسان ٢.

(أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) المرسلات ٢٠.

(يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) الزمر ٦.

(وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً) نوح ١٤.

(فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) الحج ٥.

(قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ) عبس ١٧-١٩.

(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى) النجم ٤٥ ٤٦.

(ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً) الحج ٥.

(ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) غافر ٦٧.

(أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) القيامة ٣٦.

وقصة آدم عليه السلام هى قصة البشرية بأسرها وحياته حياة هذا الوجود بأكمله، منذ أن أراد الله – جلت عظمته – لهذه الدنيا أن تُعْمَر ولهذا الوجود أن يظهر، ولهذه الحياة أن تكتمل وتزداد بظهور هذا الإنسان..! [1]

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

لم يكن خلق آدم عليه السلام من تراب ثم تناسل ذريته من بعده أمراً عادياً طبيعياً إنما هو أمر هام، وخلق عظيم، فيه تجلت مظاهر القدرة الربانية والعظمة الإلهية التى تقول للشيء كن فيكون إنه الإبداع والإعجاز.

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) (الروم:٢٠).

(رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ) (إبراهيم ٤٠).

(رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) (آل عمران:٣٨).

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً) (الفرقان:٧٤)

(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ) (البقرة:١٢٨) .

(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي) (الأحقاف: من الآية١٥).

هذا غيض من فيض عطاءات الرحمن فى آيات القرآن كى نستقى من معين فضله وفضائله ونستضيء بنوره ونسير فى بناء المجد سيره وننهج فى التربية نهجه.

قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ) (الأنعام: من الآية١٦٥).

(إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) (الإسراء: ٣٦).

---

(١) محمد على الصابونى: النبوة والأنبياء، ط٢ (القاهرة: مكتبة الغزالى، ١٩٨٠م) ١٠٩.

(وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ) (الجاثـية: ١٣).

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك:١٥) .

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ) (يونس:١٠١) .

حتى يتربى أولادنا على فقه أنهم خلقوا فى هذه الحياة لهدف سام وغاية نبيلة وفق منهجه الثابت وصراطه المستقيم والولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، حتى ينهض الإسلام من جديد.

والقرآن يشحذ العزائم ويجند القوى لتربية الأطفال والرجال الأقوياء فى دينهم وإيمانهم وأخلاقهم ونفسياتهم.. [١]

قال تعالى (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً) (النساء:٩) .

فطريق الحصانة والوقاية والوجاء والمناعة للنفس وللطفل فى طاعة الله وتقواه وحبه وخشيته ومعرفته والإنس به والشوق إليه واستشعار عظمته والتأمل فى مخلوقاته وإدراك أحكامه وفقهه وتنفيذ أوامره وتجنب نهيه وزجره وبطشه وجبروته وانتقامه وليعلم أن الله يتقبل العمل من عباده المخلصين.

(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (المائدة: من الآية٢٧).

---

(١) تصدينا لتناول هذه الموضوعات فى مؤلفاتنا وهى:
التنشئة الإيمانية للطفل فى ظل المنهج الإسلامى.
التربية الخلقية للطفل وأثره فى شخصيته.
التربية الاجتماعية للطفل فى رحاب الإسلام.
فلسفة المحبة وأثرها فى سيكولوجية الطفل فى جزءين.
الحب الأسرى وأثره فى نفسية الطفل.

والأجر حتى على النية وإرادة الخير. فلنحسن الطوية حتى يمن علينا رب البرية بالنعمة العلية والتربية القرآنية والتوجيهات النبوية فتنال المنازل العالية.

وقد ورد عن بعض السلف أنه قال لإبنه "يا بنى لأزيدن فى صلاتى من أجلك".

قال بعض العلماء "معناه أصلى كثيراً وأدعوا الله لك كثيراً فى صلاتى" فالوالدان إذا قاما بتلاوة كتاب الله وقراءة سورة البقرة والمعوذات ونحو ذلك فإن الملائكة تتنزل للقرآن، والشياطين تفر، ولا شك أن نزول الملائكة يصحبه نزول السكينة والرحمة وهذا قطعاً له أثر على الأولاد وسلامتهم.. وهذا هو سبيل من سبل الوجاء والتحصين الإيمانى أما إذا تركت تلاوة القرآن وغفل الآباء عن الذكر فحينئذ تتنزل الشياطين وتغزو تلك البيوت التى ترك فيها ذكر الله عز وجل، وتغزو تلك البيوت المليئة بالموسيقى الصاخبة، والمعازف الماجنة والتصاوير المحرمة ولا شك أن مثل هذا يؤثر على الأبناء أيما تأثير ويؤزهم إلى المعاصى أزاً ويدفعهم إلى الفساد دفعاً. [1]

فالولد الذى يرى أباه دائم الذكر والتهليل والتحميد والتسبيح والتكبير يلتقط من قوله لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر.

أحد سبل الوجاء الإيمانى والصحة النفسية:

والولد الذى يرسله أبوه ليلاً بالصدقات إلى الفقراء سراً فى بيوتهم يختلف عن الولد الذى يرسله أبوه ليلاً لشراء المخدرات والسجائر والولد الذى يرى أباه يصوم الاثنين والخميس ويشهد الجمع والجماعات ويحضر المساجد، ليس كالولد الذى يرى أباه فى المسارح والملاهى والسينمات. [2]

---

(١) مصطفى العدوى: فقه تربية الأبناء، مرجع سابق ٢٢، ٢٣.

(٢) المرجع السابق، ٢٤ أصلحوا ما بينكم وبين ربكم يصلح الله ما بينكم وبين عباده، ولسبحانه فى أمره للإنسان أن يقى نفسه أولا ثم أهله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً) (التحريم: ٦).

والطفولة مرحلة الغرس والزرع والتلقين والطفل يكون فيها كالعجينة اللينة في يد العجان، يشكلها فتتشكل ويحركها فتتحرك، بلا معاندة ولا معارضة فهو يصدق كل ما يسمع.. ويلقن العقائد والأفكار والعادات.. فيقبل أنه يثق بوالديه ثقة مطلقة.. إذ هو يراهما الصدق كله.. والشجاعة والشهامة والأمانة.. فلا يخطر على البال أنهم قد يُلقنانه الضلال أو يُعلمانه الفسوق والعصيان.. أو يكذبان عليه ويغشانه.. فلذلك هو يأخذ عنهما ويقلدهما من دون تردد، وبلا تحفظ.. فلو أنهما عوداه عبادة الخنزير لعبده ولا عجب في ذلك. فقد جاء في الحديث الشريف فيما رواه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ متعددة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى اله عليه وسلم "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه.. أو ينصرانه أو يمجسانه".

كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها؟.

والجدعاء هي مقطوعة الأذن.

فالطفل حتى يبلغ سن التكليف، يأخذ ويتلقى ويقلد ويصدق أي شيء ولو من الخرافات والأساطير – فهو إن نشأ مؤمنا فإيمانه بإيمان أبويه أو أحدهما، المعزز لفطرته السليمة.

والطفل بوضعه هذا ليس مسئولاً عن أعماله وتصرفاته ولا هو مؤاخذ بها حتى يبلغ سن التكليف. فعندما يصبح مؤاخذاً يثاب ويعاقب.[1] ولقد تمادت وكثرت انعكاسات البث المائع والمسلسلات الخليعة والأفلام الإجرامية وقد بدأت منذ زمن ليس بالقصير تؤتي أكلها في نفسيات وسلوكيات الأطفال، ونظرة منصفة في الصحف اليومية، وما تنشره على صفحاتها الخاصة من

(١) محمد أحمد كنعان: أزمات الشباب، مرجع سابق، ٩، ١٠.

القضايا والمحاكمات تبين لنا مدى هذا الارتكاس النكد مراودات في الشارع والحدائق والمحطات حسب الموضة المبثوثة.

أصبح ملء سمع الطفل خليط من شتم وفحش وقذف

وملء بصره عري وتهتك وتخنث

وملء فكره غموض وضباب... يمزق أيامه بين ثغاء التلفاز وخوار المذياع... حتى نما النشء المسكين في فراغ مزعج من الروحانية الحقة، مما جعل القلوب تقسو السلوك ينحرف والأخلاق تنهار.[1] وهنا يقول ابن الجوزي: لم يتميز الآدمي بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه، فاستحضر عقلك وأعمل فكرك، واخل بنفسك، تعلم بالدليل أنك مخلوق مكلف وأن عليك فرائض أنت مطالب بها، وأن الملكين يحصيان ألفاظك ونظراتك وأن أنفاس الحي خطاه إلى أجله، ومقدار اللبث في الدنيا قليل والحساب في القبور طويل، والعذاب على موافقة الهوى وبيل، فأين لذة أمس؟ رحلت وأبقت ندماً، وأين شهوة النفس؟ كم نكست رأساً، وأزلت قدماً... والكسل عن الفضائل بئس الرفيق وحب الراحة يورث من الندم ما يربى على كل لذة فانتبه واتعب لنفسك واعلم أن أداء الفرائض واجتناب المحارم لازم، فمتى تعدى الإنسان فالنار النار.[2]

ومن التدابير الناجحة التي يلزمنا اتخاذها كي ننقذ الطفولة البريئة من الانحلال والتفسخ الحضاري والتردي السلوكي والاجتماعي والخلقي عودة البيت إلى إطاره الإسلامي.

إحياء التعاليم الإسلامية السامية حيث الأمومة الدافئة الصادقة، بحنانها الفطري الشامل، ورحمتها الحانية الشفيقة، ولبنها الشافي المغذي وحيث

(١) محمود محمد عمارة: تربية الأولاد في ظل الإسلام، مرجع سابق، ٢٠٤.

(٢) ابن الجوزي: لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، مرجع سابق، ١٥.

الأبوة الواعية النصوحة المجاهدة والمغذية بالدرهم الحلال تحقيق تعاليم الدين والخلق السامي من طرف الآباء والأمهات والأبناء حتى يشم الطفل أريج الربانية فينمو على الإيمان ويحيا على العبودية لله تعالى.

إظهار القدوات الحسنة في البيت والشارع والمدرسة لكي يتأسى الطفل بالصالحين ويقتفي آثارهم وينسج على منوالهم.

إصلاح الإعلام جملة وتنقية ما يبث وينشر ويكتب ويشاهد. تدريب الطفل على تعلم الشعائر الدينية وحثه على تطبيقها فيؤمر بالصلاة والتدريب على الصيام، والرياضات المناسبة، السباحة وركوب الخيل واستعمال الأدوات النظيفة في اللعب، عندئذ نستطيع أن نخرج جيلاً طلائعياً رائداً كتلك النماذج السامية من أبناء الصحابة والصالحين.[1] وعدم مؤاخذة الطفل لا يعني أن الانحراف الذي يتعوده في العقيدة والسلوك لا يضره، ولا يؤثر عليه في المراحل التالية من حياته.. بل إن تلك الإنحرافات ستنتقل مع الطفل إلى مرحلة الشباب التي هي أولى مراحل التكليف الشرعي.

ومن هذا يقول ابن الجوزي عن مرحلة الطفولة باعتباره الموسم الأول والحث على تأديب الصغار: "إن هذا الموسم يتعلق معظمه بالوالدين فهما يربيانه ويعلمانه ويحملانه على مصالحه، ولا ينبغي أن يفترا عن تأديبه وتعليمه فإن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر. [2]

---

(١) عبد القادر عيقار:الأمة، جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ، وانظر محمود محمد عمارة تربية الأولاد في ظل الإسلام، مرجع سابق ٢٠٥، وقد نقلنا عنه أكرمه الله.

(٢) ابن الجوزي: تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، مرجع سابق، ١٥ وفي بهجة المجالس (١٠٩/١) ينسب قول التعليم في الصغر إلى الحسن.

قال علي رضي الله عنه في قوله تعالى (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً) (التحريم ٦) : علموهم وأدبوهم[١]

فيعلمانه الطهارة والصلاة، ويضربانه على تركها إذا بلغ تسع سنين[٢] ويحفظانه القرآن، ويسمعانه الحديث، وما احتمل من العلم أمراه به.

ويقبحان عنده ما يقبح، ويحثانه على مكارم الأخلاق ولا يفتران – يكسلان – عن تعليمه على قدر ما يحتمل فإنه موسم الزرع.

قال الشاعر:

لا تسه عن أدب الصغير　　　وإن سكى ألم التعب

ودع الكبير لشأنه　　　كبر الكبير عن الأدب

وقال آخر غيره:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت　　　ولا يلين إذا قومته الخشبُ

قد ينفع الأدب والصغير في مهل　　　وليس ينفع في ذي الشيبة الأدب

ولعل قوله في مهل يقصد به في مهد

وقال:

كان عبد الملك بن مروان يحب ابنه الوليد، ولا يأمره بالأدب فخرج لحاناً فقال: أضر حبنا بالوليد

كان: لحن في كلامه – أي أخطأ الإعراب وخالف قواعد النحو

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه(٤٦٤/٢) وابن جرير الطبري في تفسيره (١٦٥/٢٨) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال ابن حجر في الفتح (٦٥٩/٨): رواته ثقات.

(٢) وجد في الهامش: قوله: ويضربه على تركها أي الصلاة إذا بلغ تسع سنين لا يخفى أن المعتمد من مذهب الشافعي أن الصبي يؤمر بالصلاة لسبع ويضرب عليها لعشر فليتأمل.

يقول ابن خلدون: اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث. وصار القرآن أصل التعلم، الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات.

وعلى حسب الأساس وأساليبه، يكون حال ما ينبني عليه.[1] والتعاون والتنسيق والتفاهم بين الوالدين في تربية ورعاية الطفل أساس أصيل لنجاح التربية للطفل، ولبقاء الأسرة متآلفة متشاركة قوية لا تؤثر فيها العوارض والطوارئ التي تمر في حياة البيوت الإسلامية. فكما أن الطفل يحتاج لعطف وحنان الأم ورعايتها وقربها منه فإنه يتأثر بقدر عظيم بوالده وسلوكه معه واهتمامه به، والطفل ينظر للوالد على أنه يعرف كل شيء ومن ثم أشار ابن الجوزي إلى احتياج الصبي بشكل هام وخطير إلى رعاية الوالدين وتربيتهم وتأديبهم وتوجيههم.[2] ولذلك نجده يقرر في كتابه الطيب ما يلي:

أولاً: الطفل في تأديبه وتربيته مرتبط بالوالدين، فهما يربيانه ويعلمانه ويؤدبانه ويحملانه على مصالحه.

والله تعالى قال (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً) (النحل: من الآية٧٨)

وكما أكدنا في دراستنا السابقه تأكد العلماء على أن الإنسان المولود في قيمه وسلوكه وعاداته ومبادئه ومُثله مرتبط أيما ارتباط بالبيئة الاجتماعية وطرق التربيه والصلات بينه وبين من يحيطون به، وأول ما يفتح المولود

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص٢١٥).

(٢) محمد حسين: العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم، مرجع سابق، ٧٧.

عينيه يفتحهما على الأم ثم تتسع مداركه وتتسع حواسه بأن هناك أباً يرعاه ويتولى شئونه رفيقاً شريكاً معاوناً لأمه.

وكلاهما مسئولان عنه في تربيته وتأديبه وتهذيب أخلاقة وغرس الفضائل فيه.

ومن ثم كانت الشريعه الإسلامية كغيرها من الشرائع السماويه توضح ما للوالدين من فضل ودور كبير في تربية الأطفال وتنشئتهم.

ولعل هذا ما دعى العلماء المسلمين فى كتاباتهم يجعلون هذا الأمر محور البحث ومناط العظة والتنبيه والإشارة الدائمة، فقد تناولوا أثره وفضله ودوره فى خلق وسلوك الطفل فقال ابن الجوزى:

(ولا ينبغى أن يفترا عن تأديبه وتعليمه)

وقد استشهد بما قاله الحسن البصرى:

(فإن التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر).

وتلك لعمرى نصيحة غالية.

ويزيد الأمر بيانًا أن يوضع فى الحسبان أن يوم البعث والنشور وعند عرض الصحائف واجتماع الخلائق والبحث عن الحسنات والفرار من السيئات، سيجد الآباء أن سبيل النجاة من النار ودخول الجنة حسن التأديب والتربية للأولاد ومن هنا نلحظ الفقه العالى فى تفسير الإمام على كرم الله وجهه فى الدنيا والآخرة ورضى عنه لقول الله تعالى (**قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ** ناراً) (التحريم ٦). أى: علموهم وأدبوهم

وتفصيلاً بعد إجمال

أى علم وأى أدب، ولما نراه الآن فى الواقع المؤلم لزاماً علينا العودة إلى طرح هذا السؤال وأى علم وقد صارت علوم الدنيا – التى يحث الإسلام

على إتقانها والفهم منها – هى المسيطرة فى اجحاف للحق بعد عن المنعم المتفضل وفى أخطاء لا حصر لها تجعل العقيدة مزلزلة والإيمان هش واليقين يحتاج إلى إعادة تلقين.. الخ.

والتربية الإسلامية لها مسلماتها ولها ماتتميز به عن غيرها فهى ذات خصوصية.[1]

فالطفل يتعلم القرآن الكريم.

الطفل يتعلم الطهارة والوضوء،

الطفل يتعلم العبادات والفرائض من الصلوات والصوم.. الخ

الطفل يتربى على الإخلاص والصدق والاتقان من خلال الفرائض والسنن.

الطفل يتعلم الطاعة والتسليم لله بالعظمة والقدرة والعزة والجبروت.

الطفل يتعلم ما لله من حول وطول ومشيئة وقدرة.

الطفل يفعل ما يرضى الله من خلال تربية أبواه له فهما:

"يعلمانه الطهارة والصلاة، ويضربانه على تركها إذا بلغ تسع سنين، ويحفظانه القرآن الكريم ويسمعانه الحديث الشريف"

بل وما احتمل من العلم أمراه به، فنجد الأطفال يحفظون المتون الفقهية ويستزيدون من القصائد الشعرية لتنمية ملكة اللغة العربية.. الخ والأبوان يقبحان عنده ما يقبح، ويحثانه على مكارم الأخلاق وهما فى ذلك أصحاب رسالة وقضية ومهمة فقد كان الفاروق عمر بن الخطاب يوقظ أهله للصلاة وهو يتلو قول الله عز وجل (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) (طه: ١٣٢)

والله عز وجل هو القائل (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (التحريم: من الآية٦).

---

(١) راجع مؤلفنا عن التنشئة الإيمانية للطفل فى الفصلين الثالث والرابع وما بعدهما.

فثنى بالأهل بعد النفس، ولذلك يجب على الأبوين ألا يفترا عن تعليم الطفل على قدر ما يحتمل.

وهنا مبدأ مراعاة الطاقة الذهنية للفرد وقدرته على الاستيعاب وتقريرا لمبدأ الفروق الفردية، فالأطفال يختلفون عن بعضهم البعض، ولكل واحد منهم قدرته وما يناسبه.

بيد أن الأبوين يستمران فى التربية والتأديب والتعليم والتهذيب. وقد يرزق الطفل ذهنا فى صغره فيتخير لنفسه وهنا نتناول الطفل الذكى والطفل العبقرى والطفل الموهوب هم أطفال متميزون ولدى علماء النفس هم أطفال متطرفون منحرفون حيث أنهم قلة على المنحنى الجرسى حيث يمثل الأسوياء والمعتدلون المتوسط ويمثل أحد طرفى المنحنى فى جانبه الإيجابى هؤلاء الأطفال المتميزون وفى الجانب السلبى هؤلاء الأطفال الفاشلون المتأخرون وابن الجوزى يستند فى رأيه لكتاب الله تعالى

فيقول (وقد يرزق الصبر ذهنا فى صغرة فيتخير لنفسه كما قال الله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ) الأنبياء ٥١.

فذكر فى التفسير أنه كان ابن ثلاث سنين فقال للكوكب والقمر والشمس ما قال إلى أن قال (وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) الأنعام ٧٩ .[١] ولنا حديث طويل عن مرحلة الرشد. فليراجع هناك.

ومن هنا فالأبوان المفطوران على حب ولدهما يستشعران مراحل نموه ويتابعانه فيعلمان متطلبات ومهام كل مرحلة ويشبعانها فى الطفل كيما يشب سوياً سليما قوياً ناضجاً فتيا ذكيا.

---

(١) ابن الجوزى: تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، مرجع سابق، ١٧. وانظر مؤلفنا عن التربية الخلقية وأثرها فى شخصية الطفل.

الفصل الثانى

النماء النفسى للطفل.. رؤية تمهيدية

- آدم علية السلام.أول البشر.
- أطوار خلق الإنسان:
- المراد بالأطوار:- (المرحلة الترابية - الطينية - التكوينية - النطفة والعلقة والمضغة ونفخ الروح..)
- الغاية من خلق الإنسان
- مراحل النمو للطفل
  - مرحلة الجنانة
  - مرحلة الطفولة والصبا
- ودرامة نظرية عن تربية الصبى عند ابن الجوزى.
- والمنهج القرآنى والنبوى لدى ابن الجوزى.
- الصحة النفسية للطفل... إطلالة على آراء ابن الجوزى.
- تكوين الشخصية فى الآراء الجوزية

آدم أول البشر:

حدثنا القرآن الكريم عن خلق آدم عليه السلام وأخبرنا أنه أول مخلوق من البشر ظهر على سطح الأرض في هذا الوجود فهو إذا أبو الخلائق، وأصل هذا العالم، وإليه ينتمي جميع سكان هذا العالم - لا إلى القرود والترقي في سلم الكائنات الحية كما يدعي المبطلون - فليس قبله مخلوق من النوع الإنساني على الإطلاق(١).

أما عن غير البشر فقد كان هناك ملائكة قبله، وكذلك من الجن مخلوقات قبله. ولقد جاءت النصوص القرآنية مؤيدة أن آدم علية السلام هو أول المخلوقات وكذلك الكتب السماوية كلها قد أجمعت على هذا، وبذلك تضافرت الأخبار عن جميع أهل الملك والأديان بأن (آدم عليه السلام) أبو الخليقة، في القرآن نجد النداء (يا بني آدم) يتكرر مراراً، وقد قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً) (النساء: ١) وليس المراد من النفس الواحدة إلا آدم، كما أن المراد من قوله (زوجها) ليس إلا حواء لأنها أصل الخليقة.

وقد بينت الآية الكريمة أن الله قد بث أي نشر وخلق منها الرجال والنساء الكثيرين فمنها توالد البشر وتناسلوا وكثروا ثم تفرقوا في الأرض.

وفي حديث الشفاعة (يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك جنته ألا ترى ما نحن فيه؟..) الحديث.

---

(١) محمد على الصابوني: النبوة والأنبياء، مرجع سابق، ١١١.

ولقد شاء الله تبارك وتعالى أن يجعل فى الأرض خليفة، فخلق آدم عليه السلام من تراب ثم خلق منه زوجه حواء عليها السلام ومنها بدأ التناسل البشرى كما قررنا.

وفى نصيحة الولد لابن الجوزى نجد قوله:

الحمد لله الذى أنشأ الأب الأكبر من تراب، وأخرج ذريته من الترائب والأصلاب، وعضد العشائر بالقرابة والأنساب[١]

والقرآن الكريم أخبرنا أن آدم عليه السلام نشأ فى صحة جسمية ونفسية، فقد خلقه الله فى أحسن تقويم ووفر له شروط الأمن والطمأنينة، فأكرمه ونعمه وأسجد له الملائكة، وعلمه ما لم يكن يعلم، وجعله خليفته فى الأرض[٢] ثم تفاعل آدم وحواء مع إبليس الذى دعاهم إلى الأكل من الشجرة المحرمة عليهما وزكى فيهما الرغبة فى أن يكونا ملكين أو يكونا من الخالدين، وتجاوبا مع إرشاداته وتوجيهاته الشريرة، وهما يحسنان الظن به، وأكلا من الشجرة ونتج عن هذا الفعل أمور يجهلانها، ولا يعرفان كيف يتوافقان معها.

عندئذ أدركا بعد فوات الأوان – خدعة الشيطان اللعين وغوايته وكذبه وشعرا بالذنب، وعجزا عن مواجهة الموقف الجديد، فتغيرت حالتهما النفسية من الصحة النفسية (الشعور بالأمن والطمأنينة والكفاءة والعيش الرغد) إلى وهن الصحة النفسية (الشعور بالذنب والقلق والتوتر وعدم الكفاءة[٣] أى الانتقال من الوجاء – الحصانة والمناعة والوقاية – إلى المرض النفسى وصار هذا هو حال الإنسانية حتى قيام الساعة.

---

(١) ابن الجوزى: لفتة الكبد الى نصيحه الولد، مرجع سابق،١٣.

(٣) راجع الآيات فى سورة البقرة(٣٠، ٣٥).

(١) كمال إبراهيم مرسى: المدخل إلى علم الصحة النفسية (الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع،١٩٨٨م) ٢٩، ٣٠

منهج رباني وتوجيه إلهي يضمن للفرد السواء والصحة النفسية وعند مخالفته تنبت بذور المرض والانزلاق إلى غياهب لا يعلم ما فيها إلى الله.

وفيما سبق دروس جليلة أولاها بعد حسن الاتباع والطاعة لله ورسوله نلحظ أن هناك طرفًا يضمر العداء ويريد الشر ويبعد عن الخير ويزين الفساد والمنكرات فهو يدعو إلى المرض النفسي بكل وسائل التزيين والتلوين، إنه الشيطان اللعين، فإلى جانب هوى النفس الأمارة بالسوء نجد هذا اللعين الرجيم المطرود من رحمة رب العالمين.

ومما لا شك فيه أن إغفال الحديث الرباني عن هذا اللعين وما يضمره في نفسه من عداء وبغض وتكبر وكفر لنعمة الله ونصبه العداء لبني الإنسان بشتى الوسائل التى حذرنا الله منها، لاسيما والأنبياء فى كل الأزمان يحظون ويحذرون، وحسبنا ما نلمسه من تزين للشر فيا يريد الإنسان فيصير هو الخير وتزين الباطل.. إلى أخر ما يسعى إليه هذا الملعون. وتلك لعمرى نقطه هامة لا يجب إغفالها فى سيكولوجية الإنسان فى علاقته بسائر المخلوقات وسلوكه أى من السلوكيات وانعكاس آثار ذلك على الصحة النفسية للفرد.

ولم يترك ربنا المعبود آ دم عليه السلام وحواء حيث عالج ما أصابهما من وهن فى صحتهما النفسية بالتوبة عليهما والعفو عنهما ثم بين لهما ولذريتهما من بعدهما طريق الصحة النفسية (طريق الهدى) وطريق وهن الصحة النفسية (الشيطان والشهوات)[٢] والله تعالى يقول (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (الاسراء:٧٠)

رب إن الهدى هداك وآياتك حق تهدى بها من تشاء.

ومما سبق نستخلص أن آدم وحواء خلقا فى أحسن تقويم، متمتعين بالصحة النفسية يشعران بالتكريم والاستحسان والأمن والطمأنينة والكفارة ثم وهنت صحتهما النفسية عندما خالفا منهج الله وأكلا من الشجرة، فشعرا بالعجز والقلق والذنب ثم عادت إليهما صحتهما النفسية بتوبة الله عليهما فى الدنيا والآخرة وهو منهج الهدى فمن اتبعه تمتع بالصحة النفسية ومن أعرض عنه شقى وتعس.[1]

أطوار خلق الإنسان:

خلق الله تعالى الإنسان على أطوار ومراحل، متتابعة متلاحقة متكاملة كما قال عز وجل مخاطبا الكافرين خطاب توبيخ (مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً) (نوح:١٤)

والمراد بالأطوار: مراحل خلق الإنسان فى رحم أمه، ومراحل نشأته وحياته.

وكذلك: مراحل خلق أبى البشرية آدم علية السلام.فالله عز وجل خلق آدم من تراب ثم من طين ثم من حمإٍ مسنون أى: طين لذج متغير الرائحة، ثم من طين يابس. هو الصلصال يسمع منه صوت إذا نقر عليه كالفخار ثم نفخ فيه الروح، فصار إنسانا حيا، عاقلا، ناطقا مستوى القامة جميل الهيئة كامل الخلقه، ثم علمه الله تعالى الأسماء كلها.[2]

من المراحل التى مر بها خلق آدم

أولا: المرحلة الترابية، فحين تعلقت إرادة الله جل جلاله فى خلق آدم أمر الملائكة أن يجمعوا ترابا من أنحاء الأرض،ومن ألوان التربة العديدة،

---

(١) كمال إبراهيم مرسى: المدخل إلى علم الصحة النفسية، مرجع سابق ٣١.

(٢) محمد أحمد كنعان: أزمات الشباب، أسباب وحلول،مرجع سابق،١٧

فجمعوا فكان التراب هو الأساس ومما يدل عليه قوله تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) (الروم:٢٠) وجاء في الحديث الصحيح "أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأبيض الأسود وبين ذلك،والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك"[1]

ثانيا: المرحلة الطينية: أخذ هذا التراب ثم جبل بالماء فأصبح طينا لازبا أى متماسكا يلتصق بعضه ببعض والى ذلك تشير الآية الكريمة (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ) ثم بقى آدم مده طويلة من الزمن فى الصورة الطينية حتى جف ويبس فأصبح له صوت يشبه الفخار إذا نقر باليد وهو المراد من لفظ الصلصال كما قال تعالى (خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ) (الرحمن:١٤).

ثالثا: المرحلة التكوينية: ثم توجهت إرادة العلى الكبير لجعل هذا الطين بشرا سويا وإنسانا سميعا بصيرا فنفخ فيه من روحه فإذا هو إنسان كريم وخلق عظيم فى أحسن صورة وأكمل تقويم.

وفى سورة الدهر (هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً) (الإنسان:١)

والمراد بالإنسان هنا إنما هو آدم عليه السلام.[2] وبعد ذلك خلق تعالى من آدم زوجه حواء ليسكن إليها وليكون فيها تناسل البشرية بطريق الزواج. فبدأ التناسل البشرى مع أول ولد من أولاد آدم عن طريق الحمل والولادة فى أطوار ومراحل تدل على عظمة الله تعالى الذى خلق الإنسان وسائر الأكوان كما قال عز وجل (ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ

---

(١) محمد على الصابونى: النبوة والأنبياء، مرجع سابق،١١٨.

(٢) محمد الصابونى / النبوة والأنبياء مرجع سابق ١١٨.

شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) (السجدة: ٦-٨)[1]

فذرية آدم وبقية البشر جاءوا عن طريق التناسل والتزاوج باستثناء عيسى روح الله وكلمة منه ألقاها إلى مريم وقد مروا بأطوار في الخلق تختلف عن الأطوار إلى مر بها آدم وهي: النطفة والعلقة والمضغة ثم مراحل نفخ الرواح (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ) وتتابع الآية.

(مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) (الحج: ٥).

يهمنا في الآية الكريمة أن نشير إلى قوله تعالى (ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم) حيث أفرد مراحل الطفولة والشباب بكلمات معدودة، ونسب إلى الأفراد أنفسهم مراحل انتقالهم من سن الطفولة إلى هذه المرحلة الراقية من حياتهم (لتبلغو أشدكم) بينما ينسب إلى ذاته سبحانه وتعالى تكوين المراحل السابقة في قوله (إنا خلقناكم من تراب.. ثم لنبين.. ونقر... ثم نخرجكم..) وفي هذا إشارة إلى أن الله جلت قدرته قد زود الطفل في مراحل تكوينه السابق بقدرات واستعدادات بعضها مادي ظاهري مثل الحواس والقدرة على الحركة والعمل وبعضها معنوي خفي مثل الغرائز والدوافع والقدرة على الهم والتفكير وسائر الاستعدادات الفطرية التي يستخدمها لشق طريق الحياة وبلوغه تلك المرتبة المتقدمة من مراتب النمو والنضج قال تعالى (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل: ٧٨). [2]

---

(١) محمد أحمد كنعان: أزمات الشباب مرجع سابق ١٨.

(٢) حسن ملا عثمان: الطفولة في الإسلام مكانتها وأسس تربية الطفل (الرياض: دار المريخ للنشر ١٩٨٢ م)١٨، ١٧.

الغاية من خلق الإنسان:

بينت عقيدة الإسلام غاية الإنسان ومهمته فى الحياة فالإنسان لم يخلق عبثا ولم يترك سدى وإنما خلق لغاية وحكمة لم يخلق لنفسه ولم يخلق ليكون عبدا لعنصر من عناصر الكون ولم يخلق ليتمتع كما تتمتع الأنعام ولم يخلق ليعيش هذه السنين إلى تقصر أو تطول ثم يبلعه التراب ويأكله الدود ويطويه العدم. إنه خلق ليعرف الله ويعبده ويكون خليفته فى الأرض، خلق ليحمل الأمانة الكبرى فى هذه الدنيا القصيرة: أمانة التكاليف والمسئولية فيصهره الابتلاء وتصقله التكاليف وبذلك ينضج ويعد لحياة أخرى هى حياة الخلود والبقاء والأبد الذى لا ينقطع[1]

قال عز وجل (لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي) (طه: ١٤) وفى سورة الفاتحة (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ). وقوله عز وجل (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) (الذريات: ٥٦)

ولكن ما هى العبودية التى يريدها الله منا ويأمرنا بها ويحضنا عليها؟

إنها الخضوع والانقياد لمنهجه الثابت وصراطه المستقيم.

إنها حمل الأمانة والتكليف كما وضحنا، إنها إعطاء الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ومن هنا تصير حياة الإنسان كلها فى عبادته ومعاملاته وسلوكياته كلامه وصمته وأكله وشربه ودخوله وخروجه، يقظته ونومه، عمله وفراغه، جده وهزله ولهوه مع أهله كل ذلك بالنية وحسن الاتباع لقول الملك الوهاب والمصطفى صلى الله عليه وسلم ويكون كل ذلك عون على طاعة الله ونيل ثوابه وجنته.[2]

---

(١) يوسف القرضاوى: الايمان والحياة ط١٢(القاهرة:مكتبة وهبة ٢٠٠١م)٧٣.

(٢) راجع الفصل الأول من مؤلفنا: التنشئة الإيمانية للطفل فى ظل المنهج الأسلامى.

والله تعالى يقول (وَاللَّهُ أَنبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً) (نوح:١٧-١٨)

ومن الآيات التى عرض الله تعالى فيها مرحلة الإنسان الأول وحمله وولادته وحياته بلمحة خاطفة في كلمات معدودة، (فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) (الطارق:٥-٩) وقال: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (ق:١٦) وقصر مدتها وإنها لا تذكر إذا قيست بالآخرة: (وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (العنكبوت: ٦٤).[١]

(ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) (المؤمنون:١٥-١٦)

فلينظر الإنسان وليعتبر ويتعظ ويستعد ويستفيد من هذه الهداية الربانية.

فالله سبحانه تفضل فربى العالمين بقدرته وشرعه، فربى الأبدان وأحياها بالماء الذى أنزله من السماء، وبما أنبت به فى الأرض من زخارفها ما اتخذه الخلق غذاء للأبدان، ولباساً يوارى السوءات، ومساكن تأويهم من كل ما يؤذيهم من حر وقر، وتقيهم من دواب الأرض، وربى الأرواح بالشرع الذى بعث به أنبياءه ورسله، فكان الإيمان قائدهم يملأ قلوبهم، فتعمل به جوارحهم، ويحكم سلوكهم فلا يأكلون مما خلق الله بقدرته، إلا ما أحل الله بشرعه، حتى الألسنة لا تنطق والأقدام لا تخطو، والأسواق لا يتعاملون فيها إلا بما شرعه الله تعالى بوحيه سبحانه.[٢]

أطوار خلق الإنسان فى القرآن:

يعنى علم النفس بدراسة المراحل المختلفة التى تمر بها عملية نمو الطفل، والخصائص العامة التى تميز هذه المراحل والعوامل المختلفة التى

---

(١) حسن ملا عثمان: الطفولة فى الإسلام، مرجع سابق، ٢١، ٢٠.

(٢) محمد صفوت نور الدين: مسئولية الأسرة نحو تربية الأبناء، افتتاحية مجلة التوحيد، سنة ٢٩ (القاهرة: مجلة التوحيد، العدد الخامس، جمادى الأولى سنة ١٤٢١ هـ) ٢.

تؤثر فيها، مما يجعلنا أكثر فهمًا لشخصية الطفل وأكثر قدرة على توجيهه وتربيته، ولا يعنى، علم النفس بدراسة مراحل نمو الطفل منذ ساعة ميلاده فقط، وإنما يعني أيضا بدراسة مراحل نموه قبل الميلاد وهو لا يزال جنينا في بطن أمه، والعوامل المختلفة الوراثية والبيئية التى يمكن أن تؤثر فى تكوين الجنين ونموه. [1]

١ – مرحلة الجنّانة

فهو فى الرحم جنين والجمع أجنة كما فى الاستعمال القرآنى، ذكر الله عز وجل هذه المرحلة بالإجمال والتفصيل فى كتابه العزيز فقال تعالى (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم)، ثم فصل الله عز وجل مراحل نمو "الجنين" في بطن أمه مرحلة مرحلة، وطوراً طوراً وذلك فى عدد كبير من الآيات القرآنية. منها قوله سبحانه وتعالى فى سورة المؤمنون (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (المؤمنون:١٢-١٤).

وكذلك السنة النبوية الشريفة، فقد جاء فيها عن رسولنا الأمين محمد صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة، فى أطوار نمو الجنين البشرى، ومتى ينفخ فيه الروح ومن أجمعها ما رواه الشيخان، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: "إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله شقى أو سعيد.. " الحديث. [2]

---

(١) محمد عثمان نجاتى: القرآن وعلم النفس (بيروت والقاهرة: دار الشروق، ١٩٨٢م) ٢٢٧.

(٢) فليراجع فى ذلك مؤلفنا: التنشئة الإيمانية للطفل فى ظل المنهج الإسلامى، ففيه إفاضة.

ومدة هذه المرحلة فى الغالب: تسعة أشهر، تصنع الأم بنهايتها مولودها: "طفلا " كما قال تعالى (ثم نخرجكم طفلاً) وهى المرحلة التالية.[(١)]

فالجنين إذا ولد فهو وليد وإن أتم سبعة أيام فهو صديغ لأنه لا يشتد صدغه إلى تمام السبعة ثم مادام يرضع فهو رضيع، ولا يزال يترعرع حتى يبلغ عشر سنين مترعرع وناشئ، فإذا بلغ الطفل الحلم فهو مراهق أو يافع. وهو فى سن البلوغ أو نحو ١٥ عاماً يسمى غلاماً. [(٢)]

ونلحظ موافقة ذلك لما جاء به ابن الجوزى وغيره من علماء المسلمين ومخالفة ذلك في بعضه لما يعتمده علم النفس الارتقائي الحديث ولا شك أن الأخذ بمورد المفكرين المسلمين أولى لصحته وقوة حجته. [(٣)]

مرحلة الطفولة والصبا:

مرحلة الصبا هى فترة الطفولة، فالمولود يسمى طفلاً وصبياً أو صبية منذ الولادة حتى البلوغ لقوله تعالى (**وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**) (النور: ٥٩).

يولد الطفل ضعيفاً فى حاجة إلى من يرعاه ويعنى به حتى ينمو ويكبر، ويستمر نمو الوليد بسرعة كبيرة فى الأيام الأولى من حياته، ولكن تأخذ سرعة النمو تبطؤ تدريجياً مع تقدم العمر، وتبدو الحياة هادئة مستقرة قبل فترة المراهقة.

وما إن تبدأ مرحلة المراهقة حتى تتوالى على الطفل تغيرات قوية وسريعة عضوية وتشريحية ونفسية ثم تهدأ سرعة هذه التغيرات فى نهاية

---

(١) محمد أحمد كنعان: أزمات الشباب، مرجع سابق ١٨، ١٩.

(٢) الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية (القاهرة: دار الاستقامة، ١٣٧٨ هـ) ١٢٤

(٣) وعن مرحلة الجنين تفصيلا، يراجع مؤلف رعاية الطفولة فى الشريعة الإسلامية لأمين عبد المعبود زغلول، ط ٢ (القاهرة: دار الغد العربي، ١٩٩٤ م) ٥٣: ٧١.

مرحلة المراهقة وبداية مرحلة الرشد التى تكتمل فيها عملية النمو، وتعود الحياة مرة أخرى إلى الهدوء والاستقرار، مع أن الراشد يكون قد بلغ تمام النضج فى نموه الجسمي ونمو قدراته العقلية، إلا أنه يستمر فى تعلم خبرات جديدة وفى اكتساب المعرفة والخبرة والحكمة حتى يصل إلى مرحلة الشيخوخة، فتأخذ قوته الجسمية فى الاضمحلال، وتبدأ قدراته العقلية فى الضعف، وقد أشار القرآن الكريم إلى مراحل النمو التى يمر بها الإنسان بعد الميلاد من الطفولة إلى الشيخوخة[1] بقوله **(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ)** (الروم:٥٤).

وهذه المرحلة لا تكليف فيها على الإنسان، ولما جاء فى الحديث الشريف الذى رواه أحمد وأبو داود وغيرهما من طرقه عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعائشة رضى الله عنهم مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم (يرفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يحتلم).

أى: لا يعاقب الصبى على ارتكابه محرماً، ولا تدون عليه سيئة، حتى يبلغ فيصير مكلفاً.[2]

وقد سبق ذكر ما تناوله ابن الجوزى من حث الوالدين على اغتنام فترة الغرس والزرع[3]. فمن واجبات المربين والوالدين بشكل خاص أن يؤدبوا الصبى والصبية، إذا فعلا ما يخالف أحكام الشرع وآدابه، ويزجروهما عن فعله القبيح، ويعودوهما على الطاعات والواجبات، وترك المنهيات طبقاً لما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف الذى رواه أبو داود

---

(١) محمد عثمان نجاتى: القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ٢٣١

(٢) محمد كنعان: أزمات الشباب، مرجع سابق،١٩

(٣) ابن الجوزى: تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر مرجع سابق، ١٦: ١٨

والترمذى ولفظه لأبى داود "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع".

والمراد: الضرب باليد ضرباً غير مبرح ولا موذٍ. ومما لا شك فيه أن هذه المرحلة هى مرحلة التأسيس والتأثير والغرس فى شخصية الولد فى جميع المجالات، والإسلام قد أمر أولى الأمر عن الصغار بإحسان توجيههم وتربيتهم وتعليمهم، فقام المسلمون بالمهمة خير قيام حتى صار المسلم مثلاً يحتذى فى الأخلاق والمعاملة، واعتنوا بالعلم وبتلقين الصغار العلوم على أنواعها، فى سن مبكرة، حيث درج الكثيرون على تحفيظ الأولاد القرآن الكريم من سن الخامسة، فلا يصل الولد إلى العاشرة من عمره، حتى يكون قد حفظ القرآن عن ظهر قلب، وقد كان هذا سابقاً. فنبع فى المسلمين الجهابذة.[1]

ومرحلة الطفولة والصبا يصفها القرآن الكريم بأنها مرحلة ضعف وهذا ما نبهت إليه التشريعات الحديثة للطفولة حيث وسعت نطاق المفهوم ليمتد إلى نهاية المراهقة.[2]

ويميز القرآن الكريم فى هذه المرحلة الكبرى بين أربعة أطوار هى:

١- الرضاعة: ومدتها القصوى عامان (وفصاله فى عامين).

٢- الطفل غير المستأذن (غير المميز للعورة): وتمتد من الفصال (الفطام) وحتى سن الاستئذان (التمييز المبكر للعورة) يقول الله تعالى:

(أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) (النور: ٣١)

---

(١) محمد أحمد كنعان: أزمات الشباب، مرجع سابق، ٢٠.

(٢) وقد حاز ابن الجوزى قصب السبق فى هذا من قبل أدعياء حقوق وتشريعات الطفل العالمية، فقال بأن مرحلة الطفولة تمتد من الولادة إلى زمان البلوغ خمس عشرة سنة. ص ١٤.

يقول القرطبي في تفسير ذلك أي الأطفال الذين لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع لصغرهم.

٣- الاستئذان المقيد (التميز): وهي المرحلة التي يعقل فيها الطفل معاني الكشفة والعورة ونحوها، يقول الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) (النور:٥٨)

٤- الاستئذان المطلق (بلوغ الحلم) وهي مرحلة هامة تتحدد فيها مستويات قريبة من مستويات الكبار حيث الاستئذان على وجه الإطلاق وليس لفترات محددة كما هو واضح من الآية السابقة والتي يتبعها قوله تعالى: (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) (النور: ٥٩)

ثم يطلق القرآن الكريم الاستئذان باعتباره محكماً للسلوك الإنساني الناضج فيقول الله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (النور:٦٢).[1]

ومن خصائص هذا الموسم (موسم الطفولة عند ابن الجوزي) بعدما ذكر الأدب وفضل التأديب ودور الوالدين في ذلك، ذكر استثمار ذهن الصبي فيقول وقد يرزق الصبي ذهنا في صغره فيتخير لنفسه، فإذا عبر الصبي خمس سنين بان فهمه ونشاطه في الخير وحسن اختياره وصلف – صرف – نفسه عن الدناءة، وعكس ذلك.

---

(١) فؤاد أبو حطب وآمال صادق: نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، ط ٤ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢م).

مر عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – على صبيان يلعبون فتفرقوا من هيبته ولم يبرح ابن الزبير رضى عنه[1] فقال له: ما لك لم تبرح؟

فقال: ما الطريق ضيقة فأوسعها لك ولا لي ذنب فأخافك.[2]

وقال الخليفة لولد وزيره وهو في دارهم: أيما أحسن دارنا أو داركم؟ فقال: دارنا

قال: لم؟ قال: لأنك فيها.

وبين فهم الصبي باختباره، فتبين علو همته وتقصيرها.

وقد تجتمع الصبيان للعب فيقول العالي الهمة: من يكون معي؟

ويقول القاصر: مع من أكون؟ ومتى علت همته آثر العلم.[3]

ويحدثنا ابن الجوزى عن علو الهمة هذه فى نصيحة الولد بقوله:

فينبغي لذى الهمة أن يترقى إلى الفضائل، فيتشاغل بحفظ القرآن وتفسيره وبحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وبمعرفة سيره وسير أصحابه والعلماء بعدهم ليتميز مرتبة الأعلى فالأعلى ولابد من معرفة ما يقيم به لسانه من النحو ومعرفة طرف مستعمل من اللغة والفقه أصل العلوم، والتذكير حلواؤها وأعمها نفعاً.... وقد عرف الدليل أن الهمة مولودة مع الآدمي وإنما تقتصر بعض الهمم في بعض الأوقات فإذا حثت سارت ومتى رأيت في نفسك عجزاً فسل المنعم وكسلا فالجأ إلى الموفق، فلن تنال خيراً إلا بطاعته ولا يفوتك خير إلا لمعصيته؟" [4]

---

(١) عبد الله بن الزبيربن العوام أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة بعشرين شهراً وهو أكبر أولاد الزبير. وقتل وصلب بمكة سنة ٧٣ هـ عن ٧٢ سنة، [التهذيب لابن عساكر (٧/٣٩٥)]

(٢) ورد هذا الأمر بتهذيب تاريخ دمشق من عساكر (٧/ ٤٠٢)

(٣) ابن الجوزى: تنبيه النائم الغمر على موسم العمر، مرجع سابق، ١٨

(٤) ابن الجوزى: لفتة الكبد الى نصيحة الولد، مرجع سابق، ١٧، ١٨

وهو يذكر ويربط ولده بربه بعد ما ذكر العلاقة بالفطرة والوراثة وما أودع الله الولد من سمات وخصائص وبين البيئة الثرية بالمثيرات الدافعة إلى التفرد والإبداع وفي هذا سبق لابن الجوزي حيث قال:

"وقد عرف بالدليل أن الهمة مولودة مع الآدمي.... فإذا حثت سارت"

وقد ذكر قبل ذلك أيضا في الهمة العالية

وأول ما ينبغي النظر فيه: معرفة الله تعالى بالدليل

معرفة صدق الرسول صلى الله عليه وسلم

معرفة القرآن

معرفة فرائض وسنن دينه من وضوء وصلاة وزكاة وحج

ثم تتابع قوله في نهاية نصيحته: وينبغي أن تسمو الهمة إلى الكمال، فإن خلقاً وقفوا مع الزهد، وخلقاً تشاغلوا بالعلم، وندرا قوم جمعوا بين العلم الكامل والعمل الكامل[1] وقد كان خلق كثير في السلف لهم همم عالية.

ومن خصائص هذه المرحلة أيضا قوله: فإذا راهق الصبي فينبغي لأبيه أن يزوجه... والعجب من الوالد كيف لا يذكر حالة المراهقة وما لقي وما عاني بعد البلوغ أو كان قد دفع في زلة فيعلم أن ولده مثله، قال إبراهيم الحربي: أصل فساد الصبيان من بعضهم

ويندر من يؤثر – يقل ويندر من يفضل – العلم على النكاح ويعلم نفسه الصبر فإن أحمد بن حنبل رحمه الله – لم يتزوج إلا بعد الأربعين[2]

---

(١) ابن الجوزي لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، مرجع سابق، ٤٠

(٢) مرجع السابق، ١٩، وانظر للمؤلف مناقب الإمام أحمد بن حنبل (٣٧٣).

الصحة النفسية للطفل:

ومرحلة الطفولة لها أهميتها في تنشئة الطفل وفي تمتعه بأكبر قسط من التكيف السليم في مستقبل حياته ولكي نضمن نموًا سليماً منظوراً محققاً لحاجات الطفل العضوية والنفسية والاجتماعية واجب علينا أن نتفهم أحسن السبل للتعامل مع الطفل في مراحل نموه الأولى. فالبيئة المحيطة للطفل – بما في ذلك أسلوب معاملة الأباء – تعتبر عاملاً هاماً في تشكيل شخصيته وتكوين اتجاهاته وميوله ونظرته للحياة.[١]

فالطفل في السنوات الأولى من حياته يتعلم الكثير من الخبرات التي تساعده على النمو السليم، فإذا كان الطفل خلال هذه الفترة يعيش في جو عائلي هادئ، يسوده العطف والحنان والطمأنينة استطاع أن ينمو نمواً صحيحاً، يتميز بالقدرة على التكيف مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه.[٢]

وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الغلام يعق عنه (أي تذبح عنه العقيقة) يوم السابع، ويسمى، ويماط عنه الأذى، فإذا بلغ ست سنين أدب، فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه، فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة ، فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال (قد أدبتك وعلمتك وأنجحتك، أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة" ويذكر صاحب الإحياء أن هذا الحديث أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الأضحية والعقيقة إلا أنه قال "وأدبوه لسبع وزوجوه لسبع عشر"[٣]

وفي هذا الحديث تميز واضح بين المراحل الآتية:

---

(١) مصطفى فهمي: الصحة النفسية، دراسات في التكيف، ط ٢ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٧م) ٧٩

(٢) المرجع السابق، ٧٩.

(٣) فؤاد أبو حطب وآمال صادق: نمو الإنسان، مرجع سابق، ٥٢.

١. مرحلة الوليد (من الأسبوع الأول من حياته)

٢. مرحلة ما قبل التمييز :ما قبل سن السادسة (وفى أحاديث صحيحة ما قبل سن السابعة)

٣. مرحلة التمييز: وهى التى يبدأ فيها تأديب الطفل أو تعليمه المنظم.

٤. مرحلة البلوغ الجنسي: وعندها يبدأ التكيف بالعبادات.

٥. مرحلة الرشد: ومؤشرها الأساسى الزواج

ولا ينبغى إهمال الأمر بالصلاة، فحقوق الله تعالى تصح على الصبى المميز كالإيمان والصلاة والصيام، والحج ولكن لا يكون ملزماً بأداء العبادات إلا على مهمة التأديب والتهذيب، ولا يستتبع فعله عهدة فى ذمته، فلو شرع فى صلاة لا يلزمه المعنى فيها ولو أفسدها لا يجب عليه قضاؤها.[١]

والوليد يعتمد على الآخرين اعتماداً كلياً فى السنة الأولى من عمره، ثم تتضاءل هذه الحاجة الشديدة إلى الآخرين كلما تقدم فى العمر بعد الخامسة ولكنها تظل واضحة عند ضرورة المحافظة على سلامته البدنية وعلى استمراره حياً (لمدة طويلة جداً ربما حتى المراهقة) إذا ما قورن بصغار الحيوانات وبأى من الكائنات الحية الأخرى.[٢]

والطفل الذى يعيش فى بيئة غنية وثرية يرتبط بها ارتباطاً نفسياً عالياً حيث يتمتع بلذة اللعب وحب الاستكشاف والاستطلاع لتكوين صداقات والأسرة تدعم مثل هذا الارتباط النفسي بصفات خلقية واجتماعية سليمة تناسب سن الأطفال بما يسهم فى توافق اجتماعى ونفسى حسن أيضاً.

---

(١) فؤاد أبو حطب آمال صادق: نمو الإنسان، مرجع سابق ٥٢

(٢) ألفت محمد حقى: علم نفس النمو (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢م) ١٧٥

وقد فصلنا فى فلسفة المحبة وأثرها فى سيكولوجية الطفل وفى الحب الأسرى وأثره فى نفسية الطفل وتحدثنا عن أن الحب وشعور الطفل به يجعله محباً لغيره والأسرة تسعى إلى تحقيق الطمأنينة للطفل حيث تبدأ علاقات الطفل الاجتماعية والتى تكسبه الشعور بذاته وبقيمته، فالطفل من خلال هذه العلاقات الأولية ينمى خبرته عن الحب والعاطفة والحماية ويزداد دوعيه لذاته ويزداد نموه بزيادة تفاعله مع المحيطين به وقيامه بدوره الخاص وينمو لديه شعور بالطمأنينة وعن طريق هذا التفاعل تأخذ شخصيته بالتبلور والاتزان ويؤكد عديد من الباحثين أن الأنماط السلوكية الأسرية تحدد ما سوف يفعله الوليد فى مقتبل حياته أو ما يستطيع أن يفعله لكى يشبع حاجاته فالأسرة تنمى وتكون شخصيته[1].

فالأسرة تعتبر الحضن الاجتماعى الذى تنمو فيه بذور الشخصية الإنسانية وتوضع فيه أصول التطبيع الاجتماعى، بل تنمو فيه بحق الطبيعة الإنسانية للإنسان ومن القواعد المتفق عليها الآن أن أول أساس لصحة النفس إنما يستمد من العلاقة الحارة الوثيقة الدائمة التى تربط الطفل بأمه أو من يقوم مقامها بصفة دائمة[2].

فالانتماء أو التعلق النفسى يبدأ فى عمر الطفل عن طريق الاحتضان ويستمر الطفل سعيداً راضياً بهذا الالتقاء الجسمى لمدة ستة أشهر وأحياناً إلى نهاية عامه الأول يستطيع بعدها أن يتخلى أحياناً عن هذه الحاجة ليعوضها بمجرد ملاحقة من يحبه بنظره بالاستماع لذلك فإنه بعد ذلك يحس بالوحدة إذا لم يره أو يسمعه فيبكى معترضاً على تركه وحيداً.. لهذا يرى التربويون أن الطفل فى النصف الثانى من سنته الأولى يجب أن يتعرف على لعبة أو دمية

(١) سهير كامل أحمد: سيكولوجية نمو الطفل دراسات نظرية وتطبيقات عملية (القاهرة: النهضة المصرية ١٩٩٢م) ٣٤

(٢) سهير كامل أحمد: سيكولوجية نمو الطفل، المرجع السابق، ٣٥

أو أكثر حتى لا يطالب من يرعاه بكل وقته، فيمهد بذلك الطريق إلى تكوين شخصية معتمدة فيما بعد.[١]

وفى قصة زواج السيدة عائشة أنها كانت يوم زواجها فى أرجوحه ومعها صواحب لها عندما جاءت أمها أم رومان فنادتها لتصلح من شأنها فالأطفال هم الأطفال، اللهو وحب اللعب من طبيعتهم والإسلام يعطى الطفولة حقها ويراعى الفطرة الإنسانية فلا يكبتها فعن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ وأنا ألعب بالبنات (اللعب والدمى) فقال: ما هذا يا عائشة؟ قلت: خيل سليمان ولها أجنحة. فضحك"[٢]

كل هذا والسيدة عائشة جارية صغيرة يراعى رسول الله ﷺ سنها ودوافعها الفطرية، فلا ينهرها كما يفعل بعض الجفاة[٣].

ومن روائع ملاعبة الرسول ﷺ للأطفال أنه مر بعبد الله بن جعفر وهو يبيع مع الصبيان أى يلعب لعبة البيع فقال: " اللهم بارك فى بيعه[٤]

وكم تسعد الطفلة بعروستها وتعتبر أنها ابنتها والعب هنا وسيلة للصحة النفسية باتفاق جميع المدارس ويستخدم لإذكاء الروح الغالية والنفس الصافية وإشباع حاجات الطفل بحسن توجيه المربى فهو وسيلة من وسائل التربية النفسية، فهو لا يخلو من حل وتركيب وسيطرة وملكية وتنفيس عن النزعات الفطرية وبهذه الطريقة يتجنب عواقب كبت الغرائز فيحس بالطمأنينة. كما أنه أحد وسائل العلاج النفسى.[٥]

---

(١) ألفت محمد حقى: علم نفس النمو مرجع سابق، ١٨٠

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات: أخرجه أبو داود مطولا فى سننه (سير أعلام النبلاء (٣/١٥١)

(٣) محمد حامد الناصر وخولة درويش: تربية الأطفال فى رحاب الإسلام فى البيت والروضة (جدة: مكتبة السوداى: د.ت) ١٣٦

(٤) الإصابة (٢/٢٨١)

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات: أخرجه أبو داود مطولا فى سننه (سير أعلام النبلاء (٣/١٥١)

والطفل يحتاج إلى الشعور بالأمن حاجة شديدة، والعناصر الأساسية للأمن هي: المحبة والقبول والاستقرار، فشعور الطفل بحب من يحيطون به عامة، وحب أمه له خاصة أمران ضروريان لنموه، لا فى المستوى الانفعالى فقط، بل فى المستوى البيولوجي والفكرى أيضاً، ولقد أثبتت الدراسات المختلفة أن الطفل المحبوب طفل سعيد ولكن هذا الحب يجب أن يكون حباً حقيقياً، صادراً من القلب وليس مظهراً خارجياً لحب مفروض من الخارج وبعد الحب القبول للطفل من عائلته وضرورة شعوره بذلك بإن له مكانة وأنه مرغوب فيه يضحى والديه من أجله.

واستقرار الوسط العائلى هو الشرط الثالث للأمن، فكلما كانت الأرض التى يعيش عليها الطفل ثابتة ترحب به ساعد ذلك على نموه وتكيفه مع البيئة.[1]

فالمحبة والقبول والاستقرار هى الأعمدة الثلاثة للأمن والركن الركين فى النمو النفسى والانفعالى للطفل، أحد مقومات الحياة السليمة ولن يكون هذا إلا بانسجام أسرى ووفاق والدى.

وتحدد أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله الشريفة

طرق معاملة الوالدين للأبناء ومنها [2]

(١) حسن أدب الطفل وحسن اختيار اسمه: يقول عليه الصلاة والسلام " من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه " أخرجه البيهقى.

(٢) المساواة فى المعاملة لقوله صلى الله عليه وسلم "ساووا بين أولادكم فى العطية".

---

(١) مصطفى فهمى الصحة النفسية، دراسات فى التكيف، مرجع سابق، ٨٠

(٢) فؤاد أبو حطب وآمال صادق: نمو الإنسان مرجع سابق، ٥٢، ٥٣

(٣) الرحمة والرأفة بالصغير فعن عائشة رضى الله عنها قالت: قدم أناس من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ قال: نعم، قالوا؟ لكنا ما نقبل؟ فقال صلى الله عليه وسلم وما أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة" متفق عليه فى البخارى ومسلم.

وقد ورد فى الأثر (لاعب ابنك سبعاً وأدبه سبعاً وصادقه سبعاً ثم أطلق له الحبل على الغارب)

وتعتبر هذه الفترة من حياة الطفل من أشد الفترات من حيث تشكيل شخصيته وتحديد معالم سلوكه الاجتماعى وتعتمد على عدة عوامل منها الاستعدادات الوراثية والقيم والمعايير التى تسود مجتمعه والنماذج السلوكية التى تعرض عليه الآن الأسرة تقع فى المكان الأول من بين هذه العوامل جميعها فنموذج علاقات الطفل بوالديه يحدد إلى حد كبير نماذج علاقات الطفل بغيره، وتلقى هذه الحقيقة أهمية كبرى على خبرات الطفل المبكرة مع أبويه[١].

وتلعب الطريقة التى يتربى بها الطفل فى سنواته الأولى دوراً هاماً فى التأثير على تكوينه النفسى والاجتماعى أو بعبارة أعم على تكوين شخصيته فالطفل يحتاج إلى:

(١) رعاية الأم بالحب والاحتضان والحنان.
(٢) شعور الطفل بأنه مرغوب فيه ومقبول له مكانته فهو المحور فى كل رعاية.
(٣) التوازن فى المعاملة بين الحب المعتدل والتأديب والتهذيب المعتدل.
(٤) توافق الوالدين لآثاره المنعكسة على الطفل.

---

(١) سهير كامل أحمد: سيكولوجية نمو الطفل مرجع سابق، ٨٢ بتصرف يسير

(٥) الجو الأسرى المرح الذى يسهم فى النمو المتكامل للطفل.

العوامل السابقة إذا فقدت يشعر الطفل بالحرمان من الأم وأنه غير مرغوب فيه التدليل الزائد أو القسوة الزائدة أو جوا أسرى مضطرب تورث الطفل أمراضاً نفسية خطيرة سواء اجتمعت هذه العوامل أو عامل واحد فقط حيث يتجه الطفل إلى (الغيرة والأنانية والعدوان والقبول، نمو مضطرب فى كل أشكاله)

ففى بحث قام به جون بولى أثبت فيه أن اضطراب كثير من الجانحين يرجع فى أساسه إلى العلاقات المضطربة التى تكونت بسبب انفصال الأطفال فى حياتهم المبكرة عن الأم ويقال: إنه فى حالة عجز الطفل عن الحصول على حب أمه مثلا، فإنه في بعض الأحيان يلجأ إلى سرقة شئ عزيز لديها ويحتفظ به بخفية عنها طالماً يتعذر عليه أن يحصل على حبها إنه يقوم بهذا السلوك لأجل أن يلفت نظر والديه.(١)

والطفل باحث دائماً عن مثير ما وهو يعتمد فى اتصاله بالعالم حوله على حواسه المختلفة، ولكنه لا ينتظر الأشياء لتأتى إليه لكى يراها أو يتذوقها ولكن بمجرد قدرته على الحركة يتحرك بقدر ما تسمح له قدرته البدنية.

ومنذ الشهر السابع تقريباً ينمو عنده حب الاستطلاع وهذا الميل الفطرى للاستطلاع يجب أو يوجه فإن الطفل يعرض نفسه للكثير من المخاطر وخاصة قبل أن يدرك المسافة والعمق والجاذبية، ويستغل لتعليم الطفل وإعطائه صورة عن البيئة المحيطة به. ويزداد حب الاستطلاع عند الطفل بزيادة نموه ونضجه وقدرته على الحركة والمشى.. ومن خلال التجارب يبدأ الطفل فى التعلم والتدريب.(٢)

---

(١) مصطفى فهمى: الصحة النفسية، مرجع سابق ٩٤، ٩٥

(٢) عبد الفتاح دويدار: سيكولوجية النمو والارتقاء، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٣م) ١٧٤

وفترة الرضاعة حيث تعلق الطفل بالأم نجد أن الطفل يشتق من عملية الرضاعة والمص لذة كبرى ترتبط بالحب والشعور بالأمان وهو يلتصق بصدر أمه الحنون وحجب الثدى والفطام يرتبط فى ذهن الطفل بسحب اللذة والحب ويشعره بالحرمان وإذا كان لبن الأم وفيراً فإنه من الحكمة أن ترضعه أطول مدة ممكنة ويحتاج الفطام إلى هدوء وصبر ولطف وفهم[١]

وشخصية الطفل تبدأ فى التكوين منذ اللحظات الأولى لميلاده، لذلك فهو فى أمس الحاجة إلى الجو العاطفى الأسرى الذى يشبع الحاجات الأساسية للطفل من أجل المساهمة فى سعادة وإحداث التوافق مع العالم الذى يعيش فيه والرعاية التى توجهها الأسرة للطفل لا تقتصر فقط على إشباع حاجاته الأساسية من طعام وشراب ونوم، بل لابد من الاهتمام بتنمية حواسه وقدراته المختلفة عن طريق إثارة ما فى البيئة من مؤثرات مختلفة وليس من شك فى أن الطفل الذى يلقى التشجيع للاعتماد على نفسه واستقلاله يكون فى مستقبل أيامه أكثر نضجاً من ذلك الذى يربى على الاعتماد على الانفعال الصريح على الوالدين.

وعلاقة الوالدين هى أساس الجو العاطفى الذى ينشأ فيه الطفل ويجد فيه توافقاته الأولى مع الحياة[٢].

وقد قيل إن الجو العاطفى الذى يحيط الأطفال المتخلفين من حيث القدرة أو المظهر تؤثر فى اتجاهات الطفل نحو نفسه ونحو الآخرين، وقد نعتبر هذه الاتجاهات عنصراً أساسياً فى نمو شخصيته وفى استخدامه لقدراته.[٣]

---

(١) المرجع السابق ١٧٦

(٢) عبد الفتاح دويدار سيكولوجية النمو والارتقاء، مرجع سابق، ١٨٥

(٣) المرجع السابق، ١٨٥

ومن المشاعر النبيلة التى أودعها الله فى قلب الأبوين، شعور الرحمة بالأولاد والرأفة بهم، والعطف عليهم – والقلب الذى يتجرد من خلق الرحمة يتصف صاحبه بالفظاظة العاتية، والغلظة اللئيمة القاسية – ولا يخفى ما فى هذه الصفات القبيحة من ردود فعل فى انحراف الأولاد وفى تخبطهم فى إدخال الشذوذ ومستنقعات الجهل والشقاء فقوة العاطفة الفياضة التى أودعها الله فى قلب الأبوين نحو الأولاد وما ذاك إلا ليساقا سوقاً نحو تربيتهم ورعايتهم والاهتمام بشئونهم ومصالحهم.[1]

فالطفل يحتاج إلى الملاطفة والمسامحة مع الحب والحنان، وإذا اقتضى الأمر حسماً فى أمر معه فليكن برفق ولين وعطف، إنه مخلوق رقيق لديه طاقات كبيرة فيحرص على استخدامها فيما ينمى مهاراته وسلوكه وقدراته ويزيد من نشاطه، فالحماية والرعاية التسلطية الزائدة تضر الصغير أكثر ما تنفعه، فالمنع والرفض الدائم والقسوة الصارمة لكى يتحمل مسئوليات أكبر من طاقته.[2]

والتحديد الدائم لكل فعل كالأكل والنوم والملبس لا تتناسب مع حاجة الطفل الحركية فلابد من حرية الحركة والنشاط حتى تنمو قدراته ومهاراته فى مناخ صحيح والمطلوب معه أن نعطيه قدراً من حرية الممارسة والتجربة والمشاركة مع التشجيع والتقدير فهى حرية فى توجيه ومساعدة له مع تحميل قدر من المسئولية ولو شكلا لإقناعه بذاته. وهو عطاء بلا تدليل حتى يتعود الصلابة للمواقف الصعبة، وهى عقوبة رمزية للتعليم مع الإثابة والرفق والعطف الكريم.

---

(١) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد فى الإسلام، ط٤ (بيروت: دار السلام: ١٩٩٧م) (٤١/١)

(٢) محمد حسين: العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم، (القاهرة: دار لتوزيع، ١٩٩٨م) ٧٦، ٧٧

فالطفل مجموعة قدرات وإمكانات تنمو فى الجو الذى توفره له، مع التعاهد والتوجيه الواعى الحنون (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) (الواقعة:٦٣-٦٤).

فالبيئة من حول الطفل تؤثر فيه، وأعظمها تأثيراً ما عليه الوالدان من معاملة وخلق وقدوة، والتعاون والتنسيق والتفاهم بين الوالدين فى تربية ورعاية الطفل أساس أصيل لنجاح التربية للطفل ولبقاء الأسرة متآلفة متشاركة قوية لا تؤثر فيها العوارض والطوارئ التى تمر فى حياة البيوت والآباء والأمهات والأزواج.

فكما أن الطفل يحتاج لعطف وحنان الأم ورعايته وتربيتها منه، فإنه يتأثر بقدر عظيم بوالده وسلوكه معه واهتمامه به[١].

دفء العلاقة بين الأم والطفل

فمن الممكن أن تعتنى الأم بطفلها دون أن تقدم إليه الدفء والحرارة، وهذا البعد الخاص بدفء وبرود العلاقة بين الطفل والأم هو ما يكتشف لنا فى الوقت الذى نصرفه فى اللعب مع الطفل أو الصلات العاطفية معه ويبدو أن لهذا العامل أهمية خاصة فى تحديد كيفية إدراك الطفل لأفعال الأم، فإن العقاب البدنى الذى يقع على الطفل من أم عطوفة حانية قد يكون له نتائج وآثاراً اجتماعية مرغوبة، على حين أن مثل هذا العقاب لو وقع من أم تتسم علاقتها بالطفل بشئ من البرودة فقد يؤدى إلى عدوان موجه ضد المجتمع.[٢]

ويمر الطفل فى السنوات الأولى من حياته فى عملية تربوية لها من الأثر ما يفوق أثر أى عملية تربوية أخرى وذلك أنه خلال العامين الثانى والثالث تتكون الذات الشعورية للطفل وهى منطقة رزينة، تكاد تكون صورة

---

(١) محمد حسين: العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم، مرجع سابق، ٧٧

(٢) عبد الفتاح دويدار: سيكولوجية النمو والارتقاء، مرجع سابق، ١٨٨

للواقع الذى تقره البيئة، ويرجع الفضل فى تكوين هذه الذات إلى المربية الأولى وأعنى بذلك الأم، والذى يحدث أن الأم تهتم بطفلها فتعطف عليه وتشبع حاجاته الجسمية والنفسية، فهى التى تحمله وتعطيه الثدى وتضمه بين ذراعيها وتلمس أجزاء جسمه المختلفة عندما تغسله أو تغير له ملابسه. وهى التى تطعم .. الخ

فالأم هى التى تغذى ابنها بالغذاء النفسى وهو الحب وهى مع الوالد يقومان بدور هام فى بلورة شخصية الطفل.(١)

فشخصية الطفل أى طابعه وملامحه، والطفل مولود وفى حوزته صفات ورثها عن الجيل السابق، فالوراثة تتدخل فى تكوين الجنين، ففى الحديث الصحيح يقول صلى الله عليه وسلم "إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم" أخرجه بن جرير.

فالشخصية تتشكل وتتبلور من خلال البيئة الاجتماعية، وقد رأينا أثر العوامل النفسية فى تكوين هذه الشخصية.

فالطفل يحتاج ويطالب بأشياء حيوية منذ ميلاده، لا يأخذها إلا من بيئته وحيث إن هذه الأشياء مسئولة عن بقائه حياً فإنها ضرورية لتوازنه الحيوى أيضاً ومن هذه الأشياء الهواء والماء والغذاء ولا تتوقف حاجاته عند دوافعه البيولوجية، لأنه سوف يتعلم أن لديه أيضاً مطالب أخرى لحفظ توازنه الانفعالى لأنه سيبحث عن أمنه النفسى، عن رضا الناس عنه وعن الاستزادة المعرفية. أى أنه يسعى إلى الاستمرار حياً (وهو سعى واضح بسيط، ثم يسعى ثانياً إلى التفاعل اجتماعياً) وهو معقد غير موحد الأساليب)(٢).

---

(١) مصطفى فهمى: الصحة النفسية، مرجع سابق، ٩١، ٩٢

(٢) ألفت محمد حقى: علم نفس النمو، مرجع سابق ، ٣٠٢

وتتسع دائرة العلاقات والتفاعل الاجتماعي في الأسرة ومع جماعة الرفاق التي تزداد أهميتها ابتداء من العام الثالث. ويتعلم الطفل المعايير الاجتماعية التي تبلور الدور الاجتماعي له ويبدأ الطفل يتمسك ببعض القيم الأخلاقية والمبادئ والمعايير الاجتماعية وتنمو الصداقة حتى يستطيع الطفل أن يصادق الآخرين يلعب معهم ويحب الطفل مساعدة والديه ويحب الطفل الثناء والمدح حيث يكون متمركزاً حول ذاته وتلون سلوكه الأنانية[1].

وأنانية الطفل الأولى ليست أنانية بمعنى الكلمة ولكنها تشير إلى أن الوليد لا يعرف كيف يفرق بين نفسه وبين الآخرين والأشياء المحيطة وخروجه من هذه المرحلة من المركزية حول الذات إلى الغيرية طويل وشاق بالنسبة للطفل.[2]

وينمو الاستقلال في بعض الأمور كتناول الطعام واللباس وينمو الضمير ويبزغ الأنا الأعلى ويتضمن الضمير الشعور والإحساس بما هو حسن أو خير أو حلال وما هو سيئ أو شر أو حرام من السلوك.[3]

وما كان عليه أطفال عهد الصحابة يرشدنا إلى المنهج الجاد المعتدل الذي جعل منهم سادة وقادوا الدنيا إلى كل خير..

انظر إلى طفل يذهب من تلقاء نفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسأله سؤالاً عجيباً لا يسأله إلا صاحب نفس عظيمة، فعن مصعب السلمي رضي الله عنه قال:

انطلق غلام منا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إني سائلك سؤالاً! قال: ما هو؟ قال: سائلك أن تجعلني ممن تشفع له يوم القيامة، قال:

---

(١) سهير كامل أحمد: سيكولوجية نمو الطفل مرجع سابق، ٨٣

(٢) ألفت محمد حقي: علم نفس النمو، مرجع سابق، ١٧١

(٣) حامد عبد السلام زهران: علم النفس النمو، ط٥ (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٧م) ١٨٩

من ذلك على هذا؟ قال ما أمرني به أحداً إلا نفسي، قال: فإنك ممن أشفع له يوم القيامة ". رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، فبالله عليكم، كيف كانت الأمهات وكيف كان الأبناء ينشئون أولادهم، إنه اتباع منهج الإسلام الذي حملوه فيما بعد وفتحوا به قلوب العباد والبلاد.

وانظر إلى قصة هذا الغلام الذي امتحن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجولة وقوة الإيمان والطاعة ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

طلحة بن البراء لما لقي النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله مرني بأمرك ولا أعصي لك أمراً، قال: فعجب لذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام، فقال له عند ذلك، اذهب فاقتل أباك، قال: فذهب مولياً يفعل، فدعاه فقال: أقبل فإني لم ابعث بقطيعة الرحم، فمرض طلحة بعد ذلك، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده في الشتاء في برد وغيم، فلما انصرف قال لأهله: أني لا أرى طلحة إلا حدث فيه الموت، فأذنوني به حتى أشهده وأصلي عليه وعجلوا، فلم يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم بني سالم بن عوف حتى توفي، وجن عليه الليل فكان مما قال طلحة:

ادفنوني وألحقوني بربي عز وجل ولا تدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أخاف عليه يهود.

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم حين أصبح، فجاء حتى وقف على قبره وصفّ الناس؟ فقال: اللهم الق طلحة تضحك إليه ويضحك إليك رواه الطبراني إسناده حسن.[1]

والتاريخ الإسلامي حافل بنماذج رائدة لصبية وغلمان لهم شأن ومواقف عظيمة تنبئ عن حسن التربية الإسلامية لهم.

---

(١) محمد حسين: العشرة الطيبة مع الأولاد، مرجع سابق، ٧٥

ولعلك تذكر وصية النبى صلى الله عليه وسلم للغلام عبد الله بن عباس وكيف كانت مصاحبة ابن عباس للحبيب المصطفى ليلاً ونهاراً ينهل من فيض وعطاء النبوة وفى القرآن الكريم دروس وعظات، فنجد مثلاً قصة وعظة لقمان لابنه تلك العظة البليغة التى نرجو من الله أن نفردها وسابقتها بالحديث الوافى نستخلص منها العظة والفقه والتبصر بالمنهج الإسلامى.

الفصل الثالث

فى الصحة النفسية للطفل

الطفولة وشخصية الإنسان

لكى نستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهماً دقيقاً وصحيحاً يجب أن ندرس بدقة العوامل المختلفة التى تحدد الشخصية. وحينما يدرس علماء النفس المحدثون هذه العوامل المحددة للشخصية، فإنهم يدرسون عادة العوامل البيولوجية والاجتماعية والثقافية وهم يهتمون عادة بدراسة أثر الوراثة والتكوين البدنى وطبيعة تكوين الجهاز العصبى والجهاز الغدى وحينما يدرسون تأثير العوامل الاجتماعية على الشخصية فإنهم يهتمون عادة بدراسة خبرات الطفولة وبخاصة فى الأسرة وطريقة معاملة الوالدين، كما يهتمون أيضا بدراسة تأثير الثقافات الفرعية والطبقات الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية المختلفة، وجماعات الرفاق والأصدقاء على شخصية الفرد.

إن العوامل المحددة للشخصية إذن يمكن أن تصنف إلى مجموعتين رئيسيتين:

عوامل وراثية: وهى عوامل منبعثة من تكوين الفرد ذاته.

وعوامل بيئية: وهى عوامل منبعثة من البيئة الاجتماعية والثقافية.

وعلماء النفس حين يدرسون العوامل المنبعثة من تكوين الفرد ذاته فإنهم يقصرون اهتمامهم على دراسة العوامل الجسمية البيولوجية فقط، متناسين أو مغفلين الجانب الروحى من الإنسان وذلك تمشياً مع أسلوبهم فى البحث العلمى الذى يقتصر على دراسة ما يمكن ملاحظته وإخضاعه للبحث فى المختبرات العلمية.

ولذلك يهمل علماء النفس المحدثون دراسة الجانب الروحى من الإنسان وأثره على الشخصية. (١)

---

(١) محمد عثمان نجاتى: القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ٢٠٠.

وقد أدى ذلك إلى قصور واضح فى فهم الشخصية، ومن ثم طريقة علاجية قاصرة لاضطرابات الشخصية.

وكما يقول الإمام ابن قيم الجوزية: اعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن كرمه وفضله وشرفه، وخلقه لنفسه وخلق له كل شيء وحصنه من معرفته ومحبته وإكرامه وقربه بما لم يعطه غيره — استخدمهم له، وجعلهم حفظة له فى منامه ويقظته وظعنه وإقامته وأنزل إليه وعليه كتبه وأرسله وأرسل إليه وخاطبه وكلمه منه وإليه، فللإنسان شأن ليس لسائر المخلوقات.[1] هذه هى مكانة الإنسان التى أنزله الله إياها.

فهذه المعانى الكبيرة والمشاعر الرفيعة، إذا سرت فى كيان الفرد، جعلت منه إنساناً عزيزاً كريماً، كبير الآمال، إنساناً لا يحنى رأسه لمخلوق، ولا يطأطئ رقبته لجبروت أو طغيان أو مال أو جاه إن شعاره هذه الكلمة (سيد فى الكون، عبد لله وحده) هذه العزة والكرامة بانتسابه لله وارتباطه بكل ما فى الوجود، فيحيا عزيز النفس عالى الرأس، أبياً للضيم، عصياً على الذل والهوان بعيداً عن الشعور بالتفاهة والضيع والعدم والفراغ. [2]

وطبيعة الإنسان كمنطلق لفهم وبناء شخصيتنا مسألة حيرت ألباب العلماء منذ عصور موغله فى القدم؛ فالجسد يحيا وينمو ثم يموت ولكن شيئاً لا تدركه الحواس يبدو أنه يحكم هذا الجسد.. إنه ذلك الجانب الذى تتركز فيه خلاصة كيانه.

والله تعالى خلق هذا الإنسان جسماً كثيفاً وروحاً شفافاً، جسماً بشدة إلى الأرض، وروحاً يتطلع إلى السماء، جسما له دوافعه وشهواته وروحاً لها آفاتها وتطلعاتها.. روحاً لها أشواق كأشواق الملائكة. قال تعالى:

---

(١) يوسف القرضاوى: الإيمان والحياة، مرجع سابق، ٦٦.

(٢) يوسف القرضاوى: الإيمان والحياة، مرجع سابق، ٦٩. وانظر مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، مطبعة السنة المحمدية (١/ ٢١٠).

﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ (السجدة:٩)

ويتناول علم النفس الارتقائى دراسة مراحل النمو المختلفة للإنسان منذ لحظة الإخصاب حتى مرحلة الشيخوخة تلك المراحل التى حيرت عقل البشرية، وفى كل مرحلة تطرأ عليها تغيرات بنائية على الجوانب العقلية والجسمية والحسية والانفعالية والاجتماعية والنفسية وتتصف كل مرحلة بخصائصها وسلوكياتها. وهذا علم له أهميته فى مجال الصحة النفسية.

على أساس أن توافق الفرد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمراحل نموه وتغيراتها ومشكلات كل منها ومطالبها وطبيعة الظروف المحيطة بالفرد وما إذا كانت مواتية لنمو الفرد نموًا صحيحاً سوياً أم معوقاً لهذا النمو ومعرقلة له وبمدى إشباعنا لاحتياجات كل مرحلة من مراحل النمو إشباعاً متوازناً ودون إفراط ولا تفريط لا سيما خلال مرحلة الطفولة.

التى يعدها الباحثون والعلماء بمثابة أساس الشخصية فى بلوغها ورشدها. (١)

ويتأثر النمو فى جميع مظاهره الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية بعدة عوامل أهمها:

١- الفطرة أو الوراثة وهى الصفات التى يكتسبها الطفل من والديه وأجداده.

٢- البيئة التى تهيمن على الفرد سواء بيئة الرحم وهو جنين أو بعد ولادته.

---

(١) عبد المطلب القريطى: فى الصحة النفسية (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٨م) وانظر: ناريمان محمد رفاعى: علم نفس النمو، مذكرات غير منشورة، كلية التربية بنها – ٢.

٣- عوامل أخرى كالغذاء والتكوين العضوى.. الخ.

ويتميز الإنسان عن سائر المخلوقات بالتكوين الذى يجمع الجسد والروح، فهو يشارك الحيوان فى معظم الخصائص الجسمية وما يتطلبه حفظ الذات والبقاء من دوافع وانفعالات وقدرة على الإدراك والتعلم. ولكنه يتميز عن الحيوان بخصائص روحه التى تجعله ينزع إلى معرفة الله سبحانه وتعالى وعبادته والتشوق إلى الفضائل والمثل العليا التى ترتفع به إلى مستويات عالية من الكمال الإنسانى.

ولهذا كان الإنسان أهلاً لخلافة الله فى الأرض. ونحن لا نستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهماً دقيقاً إلا بالنظر إلى هذا الكيان الإنسانى بسمله. المكون من امتزاج عنصرى المادة والروح. [١]

فالإنسان مخلوق مميز، أكرمه الله تعالى بالعقل وشرفه بأصله آدم عليه السلام. والتعريف المنطقى للإنسان يشرح الشخصية الإنسانية ويفرز خصائصها، ويحدد حقيقة كل جانب من جوانبها، فيسهل بالتالى معرفة مستويات الناس المختلفة المتفاوتة، ويسهل أيضا معرفة أسباب فلاح المفلحين وخسران الخاسرين. ويعرف علماء المنطق الإنسان على أنه "حيوان ناطق".[٢]

والحيوان صيغة مبالغة مثل "الغليان" و"الميدان" وهى تعنى: الحركة الحية كقوله تعالى فى وصف الآخرة **(وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)** (العنكبوت:٦٤)

---

(١) محمد عثمان نجاتى: القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) محمد أحمد كنعان: أزمات الشباب، مرجع سابق، ٢٦.

أى لهى الحياة الكاملة السالمة من المنغصات، ولا تكون الحيوانية فى الكائن الحى إلا إذا دبت فيه الروح، فالروح جزء لا غنى عنه فى هذا الجانب من كل كائن حى.

وجانب الحيوانية فى الإنسان يشمل جميع الشهوات والميولات والرغبات التى خلقها الله تعالى فيه ومن أهمها وأخطرها شهوتا البطن والفرج وما يتعلق بهما. وشهوة الفرج تتعلق بالزواج وما يترتب عليه من إنجاب الذرية والإنسان مأمور بسلوك السبل المشروعة. [1]

فالإنسان جسد حى من لحم ودم وعصب وعظم يحتاج إلى المأكل والمشرب والمنكح والملبس.. الخ. وشهواته هذه تجوع بعد شبع، وتشبع بعد جوع، وهكذا دواليك وهو يطلب هذه المطالب الفطرية، ويسعى ويتعب من أجل الحصول عليها إشباعاً لرغائبه وشهواته فهو والحالة هذه يتفق مع أى كائن حى آخر، يشاركه الشبه فى التكوين، فالإنسان من هذا الجانب حيوان والحصان كذلك حيوان ولو أن الإنسان كان بلا عقل، لكان بهيمة بهماء ودابة عجماء وهذا الجانب هو نقطة الضعف فى الإنسان كما وصفه الله عز وجل بقوله (وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً) (النساء: ٢٨).

فهو ضعيف فى قوته الجسدية

وضعيف فى مواجهة الصعوبات والمغريات، وعلى الأخص: إغراء المال والجاه، والمرأة، فالإنسان فى مواجهة هذه الإغراءات أضعف ما يكون؛ لأنها شهوات خلوة، مزينة، مغرية فاتنة... لذلك كان على المسلم أن يستعين بالله، لئلا يعزيه الشيطان فتزل قدمه عن الصراط ويقع فى الزلل

---

(١) المرجع السابق، ٢٧.

ولكي يتمكن الإنسان من الاحتفاظ بتوازنه فقد أكرمه الله تعالى بالجانب الآخر وهو جانب العقل.

الإنسان يفكر قبل أن ينطق ويتكلم بالصدق وبالحق أو العكس (الطفولة بين الفطرة والوراثة والغرائز والشهوات).

الفطرة: ما خلق الله عليه الخلق من المعرفة به، وقال أبو الهيثم: الفطرة: الخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه.

ألا ترى غلام الخضر عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: طبعه الله يوم طبعه كافراً وهو بين أبوين مؤمنين) وكل مولود يولد على الفطرة، فطرت الله التي فطر الناس عليها وهي دين الله الإسلام، والله تعالى يقول (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ... قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) (الأعراف:١٧٢). [١]

فالطفل يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيء لقبول الدين والفطرة هي الصفة التي يتصف بها كل موجود من أول زمان خلقته وصفة الإنسان الطبيعية والدين والسنة.[٢] ومهما يكن من أمر فإن الفطرة هي الحيلة الأصلية أو الطبيعية الأولى التي يكون عليها المولود في وقت ولادته.

وفي موسوعة علم النفس والتحليل النفسي[٣]

الفطرة Innate كل ما فطر عليه الإنسان أو الكائن الحي أي يوجد في نوعه بشكل طبيعي تلقائي مغروس فيه لا يحتاج إلى من يعلمه إياه فهو هبة الوراثة إلى الإنسان أو الكائن الحي، والوراثة كل ما يأخذ الفرد من والديه عن طريق الجينات والكروموزومات سواء من خصائص جسمية أو عقلية،

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، م٥ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٠م) ص٦، ص٨.

(٢) المنجد في اللغة والإعلام (ص٥٨٧) وانظر مؤلفنا عن التنشئة الإيمانية للطفل، الفصل الثالث.

(٣) فرج عبد القادر طه وآخرون: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي (الكويت: دار سعاد الصباح، ١٩٩٣م) ص٩٩.

وتلعب الوراثة مع البيئة الدور الأساسي في تكوين خصائص الشخصية سواء كانت جسمية أم عقلية وفي بلورتها وتشكيلها كالطول ولون البشرة ومستوى الذكاء وقوة الذاكرة وسلامة الجهاز العصبي... الخ. [١]

(النحيزة.. هى الطبع أو الطبيعة وأصلها النحز بمعنى الدفع، وعلم النفس المعاصر قد ضيق النظرة إلى الفطرة، فتحددت وشذبت من هنا وقلمت من هنالك لا لأنها فى ذاتها فقيرة نحيلة هذيلة، كل ذلك لتناسب فطرته أدوات الدراسة فكانت فطرة الإنسان أول قربان قدمه علم النفس على محراب العلمية الحديثة. وانتهى الأمر بالنظر إلى الفطرة الإنسانية أو الطبيعة البشرية بأن تطابقت أو كادت مع الطبيعة الحيوانية. فلا ينبغى أن نضحى بالفطرة الإنسانية على مذبح علمية لا أقول صنيعة بل زائفة. [٢]

ويقصد بالوراثة كل ما يأخذه الفرد عن والديه عن طريق ما يسمى بالكروموزمات والجينات، إن الخصائص التى يرثها الإنسان تتحدد منذ اللحظة الأولى التى يتم منها الإخصاب.[٣] وتعمل الوراثة على المحافظة على الصفات العامة للنوع، وذلك بنقل هذه الصفات من جيل لآخر، فالإنسان لا يلد إلا إنسانا والفأر لا يلد إلا فأراً. ولهذا ذهب البعض فى القول:

(الولد سر أبيه)

(من شابه أباه فما ظلم)

وتدل نتائج الأبحاث العلمية على أن الطفل يرث نصف صفاته الوراثية من والديه وأن بعض صفات الأب قد تتغلب على بعض صفات الأم أو

---

(١) فرج عبد القادر طه: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مرجع سابق (٨٤٣).

(٢) سيد أحمد عثمان: الإثراء النفسي دراسة في الطفولة ونمو الإنسان، ط٢ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٤م) ٢٥: ٢٩.

(٣) سهير كامل أحمد: سيكولوجية نمو الطفل، مرجع سابق، ٢٦.

العكس وأيا كان أثر الأب والأم في صفات الطفل فإن المجموع النهائي لأثرهما معا يساوي نصف الصفات التي يرثها الطفل عامة، ويرث الطفل بعض صفاته الوراثية من أجداده المباشرين.. وهكذا. (١)

أما الغرائز والشهوات:

فقد شاع على ألسنة كثير من المتعلمين، وفي كتاباتهم إطلاق الغريزة على الشهوة في الإنسان، وهذا خطأ فادح، بل إن من هؤلاء من أطلق على الفطرة السليمة المعروفة بالتدين وصف الغريزة، فسموها غريزة التدين ووجه الخطأ في ذلك، واضح من المعنى اللغوى لكل واحدة من هاتين الكلمتين، فمن العودة إلى قواميس اللغة العربية تبين ما يلى:

الغريزة: الطبيعة وجمعها: غرائز.

والشهوة هي اشتياق النفس إلى الشيء وجمعها: شهوات، وهي الاسم من فعل شهي الشيء واشتهاه إذا أحبه ورغب فيه.

فواضح من تعريف الشهوة هذا أنها اشتياق إلى الشيء وحب له ورغبة فيه وذلك لا يكون إلا من عاقل أي إنسان.

بخلاف الغريزة فهي طبيعة في البهائم، أي جبلة جبلوا عليها لا عقل يحرجها ولا إدراك يوجهها.

أما الإنسان، فقد خلق الله تعالى فيه الشهوة وخلق له الشهوات قال تعالى **(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ)** (آل عمران: ١٤) فهذه كلها شهوات. وقال تعالى عن قول لوط عليه السلام لقومه **(إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ)** (الأعراف: ٨١) فسمى تلك الفاحشة: شهوة ولم يقل غريزة.

---

(١) عبد الفتاح دويدار: سيكولوجية النمو والارتقاء، مرجع سابق، ٤٧.

وحذر الذين يتبعون الشهوات من سوء العاقبة فقال تعالى (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) (مريم:٥٩) وكذلك في الآخرة حيث ينال المؤمنون في الجنة ما يشتهون كما قال تعالى (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ) (الزخرف: ٧١).

وملخص القول: أن الشهوة هي من خصائص الإنسان وهي قد تكون مباحة وقد تكون محرمة يأثم بها فاعلها، ومن الشهوات ما يؤجر عليها المرء كشهوة الجماع بالزواج أما الغريزة في البهائم خاصة.

فلا تطلق الغريزة على شيء من خصائص الإنسان، فلا يقال: غريزة حب البقاء ولا غريزة التدين بل هما فطرتان فطر الله عليهما الإنسان فهو يحب الحياة بالفطرة العاقلة التي فطره الله عليها إلا بالغريزة العجماء العمياء البهماء.[1]

والإنسان ميال بفطرته إلى الإيمان، إلا إذا انحرف به والداه فنشأ على خلاف الفطرة.

فهي إذن (الفطرة) لا (الغريزة) فيقال: فطرة التدين وفطرة حب الحياة والبقاء.. الخ.

والإنسان يتضمن في شخصيته صفات الحيوان المتمثلة في الحاجات البدنية التي يجب إشباعها من أجل حفظ الذات وبقاء النوع، كما يتضمن أيضا صفات الملائكة المتمثلة في تشوقه الروحي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به وعبادته وتسبيحه. قال تعالى (فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (النازعات:٣٧-٤١)

---

(١) محمد أحمد كنعان:أزمات الشباب، مرجع سابق، ٣٢، ٣٣.

وقال تعالى (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (البلد:١٠)

وقال (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً) (الانسان:٣)

وتلك هى مشيئة الله فى خلقه

(لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) (البلد:٤)

إن فى طبيعة الإنسان إذن استعداد لفعل كل من الشر والخير، استعداد لاتباع أهوائه وشهواته البدنية والاستغراق فى الاستمتاع بملذات حسية ورغبات دنيوية، واستعداد للتسامى إلى أفق الفضيلة والتقوى والمثل الإنسانية العليا والعمل الصالح وما يحققه ذلك من سكينة نفسية وسعادة روحية.[1]

وهديناه النجدين أى معرفة طريقة الخير وطريق الشر والآية تؤكد أهمية الاستعدادات والقدرات التى أودعها الله سبحانه وتعالى لدى الطفل ليتمكن من تلك المعرفة قال تعالى:

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ) (البلد:٨-٩) فالعينان واللسان والشفتان من بعض الوسائل التى تمكن من بلوغ تلك المعرفة.[2]

فالدوافع والقدرة على الفهم والتفكير وسائر الاستعدادات الفطرية التى يستخدمها لشق طريقه فى الحياة وبلوغه تلك المرتبة المتقدمة من مراتب النمو والنضج. فمفهوم الفطرة يرتبط بالوراثة.

كما أن مفهوم الخبرة يرتبط بالبيئة والمقصود بها:

مجموع الاستثارات التى يتلقاها الفرد أثناء حياته

---

(١) محمد عثمان نجاتى: القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ٢٠٦.

(٢) حسن ملا عثمان: الطفولة فى الإسلام، مرجع سابق، (١٨).

والوراثة تسهم بمقدار كبير فى الفروق الفردية خاصة فى النشاط العقلى وهذه الخصائص يحدث لها نضج خلاف الخبرة فى عمليات تعليمية وتدريبية ولها أهمية بالغة فى إحداث تغيير فى السلوك حيث أن السمات النفسية الكامنة والاستعدادات لا تصل إلى أقصى طاقاتها الوظيفية إلا بالتعلم.(١)

والصحة النفسية عن طريق التربية الإسلامية تستهدف المحافظة على فطرة الإنسان صافية نقية وإعداد شخصيته بجميع أبعادها منذ ولادته حتى وفاته.

وتتفاعل العوامل الوراثية المختلفة مع عوامل البيئة عضوية كانت أم غذائية أم نفسية أم عقلية أم اجتماعية أم غير ذلك من الألوان المختلفة للبيئة، فى تحديد صفات الفرد وفى تباين نموه ومسالك حياته ومستويات نضجه ومدى تكيفه وشذوذه.(٢) ولنا كلام تفصيلى عن البيئة المحيطة بالطفل وأثرها فى شخصية الطفل.(٣) فالطفل يتأثر بأمه وأبيه وإخوته ويؤثر أيضا فيهم وهكذا تمتد هذه المؤثرات وتتصل لحمتها بسداها حى تصبح نسيجا نفسيا اجتماعيا يحيا الطفل فى إطاره.

رعاية الإسلام للطفل منذ اللحظة الأولى لميلاده:

حيث يستحب للمسلم أن يبادر إلى مسرة أخيه المسلم إذا ولد له مولود، وذلك ببشارته وإدخال السرور عليه وفى ذلك تقوية للأوامر وتمتين للروابط، ونشر لأجنحة المحبة والألفة بين العوائل المسلمة، فإن فاتته البشارة استحب له تهنئته بالدعاء له ولطفله الوليد عسى الله أن يتقبل ويرعى ويستجيب.(٤)

---

(١) محمد حسين: العشرة الطيبة مع الأولاد، مرجع سابق (٧٠).

(٢) عبد الفتاح دويدار: سيكولوجية النمو والارتقاء، مرجع سابق، ٤٥.

(٣) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد فى الإسلام، مرجع سابق (٥٦/١).

(٤) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد فى الإسلام، مرجع سابق (٥٦/١).

بالإضافة إلى ذلك التأذين والإقامة عند الولادة بحيث يكون أول ما يسمعه الوليد كلمة التوحيد واستحباب تحنيك الوليد عقب ولادته وذلك لتقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الفم والفكين واستحباب حلق رأس الوليد واستحباب ذبح شاة عن المولود فى يومه السابع (العقيقة) وتسمية الوليد وانتقاء أحسن الأسماء وأجملها.[١]

ويشيع فى التراث السيكولوجى ما يعرف بـ صدمة الميلاد Trauma فالطفل كان يعيش حنينا فى بيئة دافئة ناعمة مشبعة للحاجات هى بيئة الرحم تأتى عليه لحظة الميلاد فيخرج إلى عالم مختلف ومن العوامل الهامة التى تؤثر فى الوليد اتجاهات والديه نحوه واستجابات البيئة الجديدة للطفل.

فالأطفال فى أمس الحاجة للشعور بالمحبة وأنهم موضع الرعاية وحكمة الأبوة والأمومة مفيدة فى هذا الأمر.

ولا يوجد دليل علمى على تأثير ما يسمى صدمة الميلاد (أى الصدمة النفسية التى يقال أن الوليد يشعر بها نتيجة الانفصال عن الأم بالولادة) فى الشخصية. وخاصة اتجاهات الرفض وكذلك القلق والتوتر والاضطراب الذى تبديه الأم إزاء وليدها.[٢]

فالطفل الإنسانى يحتاج إلى الأمومة السليمة من أجل حياته ونموه ومستقبله.

والأمومة بالنسبة للطفل الصغير تعنى الدفء والحب والحنان وتحقيق الإشباع وتحقق الألم والتوتر والخوف والقلق. وطبيعة العلاقة بين الطفل والأم تحدد الملامح الأولى لعلاقته النفسية والاجتماعية بالآخرين فى المستقبل حيث أن نجاح عملية الولادة النفسية الفطام النفسى على درجة الحنان

---

(١) فؤاد أبو حطب وآمال صادق: نمو الإنسان، مرجع سابق، ٢٠٤.

(٢) المرجع السابق، ٢٠٤.

والدفء وعلى الخبرات التفاعلية الإيجابية بين الأم والطفل خلال السنوات الثلاث الأولى من الحياة.[١]

والأب أحد مصادر الحنان، فالطفل الذى ينال قسطه من الحنان صغيراً يلقى مع الحنان الإشباع لحاجة نفسية ملحة هى حاجته إلى أن يشعر بأنه مقبول ومحبوب، ومتى لقيت هذه الحاجة الإشباع فإن الطفل سيشب وهو لا يطيق أن يرى الحرمان يعانى منه الغير وسيعمل جاهداً على مكافحته. سيشب على وجدان اجتماعى يتلخص فى الشهامة.

هذه المحبة العطاء الوالدى سر إلهى يصحبه شدة الشفقة والرأفة صنعه الله فى قلوبهم، فعلاقة الطفل بأمه من أهم العوامل الأساسية فى تكوين شخصيته وتبدأ من مرحلة الرضاعة فى الملامسة والهدهدة والمناغاة والمداعبة ويتعرف الطفل فى بداية إدراكه على صوت ووجه وحركات الأم ويستجيب لهذه المثيرات بصورة شعور بالأمن. والأم تتعهد أحوال ابنها أناء الليل وأطراف النهار وتؤدى له جميع ما يحتاج إليه.[٢]

ومتى صح الود بين الآباء والأمهات صحت تربية البنين والبنات فلابد من شعور الأطفال بأن الواحد منهم جاء إلى جو مفعم بالحب والحنان والمؤانسة والاحترام وأن البيت واحة عامرة بالود والنعيم ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعامل الصبية معاملة كلها رحمة ورقة وتلطف بهم وكان يلوم على القسوة والجمود. ويرسى أصول المحبة والرحمة والشفقة فكان يحمل الصبيان ويقبلهم ويتركهم يركبون ويضعهم على حجره ويحملهم على عاتقه وهو يصلى.[٣] وتعلمنا الدراسة الكلينكية وكثير منها دراسات

---

(١) حامد الفقى: دراسات فى سيكولوجية النمو، ط٥ (الكويت: دار القلم، ١٩٩٣م) ١٩: ٢١.
(٢) الزين عباس عمارة: مدخل إلى الطب النفسى (بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٦م) ٣٣٢، ٣٣٣.
(٣) الذين عباس عمارة: مدخل إلى الطب النفسى (بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٦م) ٣٣٢، ٣٣٣.

تتبعية أن البيوت التى يغشاها الود والتفاهم القائمان على الثقة والاحترام والمحبة والتقدير والتى تحتفظ بتوازن جميل بين القيد والحرية هى البيوت التى يتخرج فيها الأصحاء الأسوياء من الراشدين والأطفال.[1]

ويؤكد العالم الفرنسي هبرت مونتنا جنر على أهمية لطف الأم وحنانها مع طفلها إذ يقول لقد لاحظت أن الأطفال الذين يتمتعون بروح قيادية هم في معظم الحالات أطفال من أسر متفاهمة تسودها روح الحب، تقوم الأم دائماً بمخاطبة طفلها والتحدث معه بلطف وحنان وهى فى ذلك لا يهمها إن كان طفلها يفهم كلماتها أم لا، فهى تستخدم كتفيها ووجهها وابتسامتها وصدرها وكل جسمها لتؤكد له شيئا واحداً وهو أنها تحبه، أنها قريبة منه؛ وإنها تفهمه وأنها تلبى طلباته وهذه المشاعر المتبادلة المتصلة تؤثر فى أطفالنا كثيراً حتى وإن كانوا دون السنة الأولى من عمرهم.[2]

فالطفل في سنواته الأولى كبير المرونة وقابل للتشكل والتعلم والتأثر بكل ما يقع تحت سمعه وبصره، يولد مزودًا بمجموعة من الميول والنزعات الفطرية الخاصة والعامة والتى تلعب دوراً مهماً فى تكوين الطفل وتنشئته إذا استغلت ووجهت توجيهاً مناسباً. والطفل يواجه لأول مرة بيئة اجتماعية يرتبط أفرادها بروابط الدم والقرابة بيئة متماسكة تتصف بالمحبة والعطف ولذلك يسهل على الطفل أن يتمتع بحاجاته النفسية الضرورية للنمو المتزن من أمن وحرية وحب وتقدير وواضح من ذلك أن الطفل فى أسرته تتوافر لديه كل العناصر التى تبنى عليه شخصيته وتقرر الكيفية التى يمكن أن يكون عليها سلوكه وأسلوبه فى الحياة.[3]

---

(١) أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، ط٩ (القاهرة: المكتب المصرى الحديث، ١٩٧٣) ٤٤٧.
(٢) محمد الناصر وخولة درويش: تربية الأطفال، مرجع سابق، ٧٠.
(٣) المرجع السابق، ٧٢، ٧٣.

فوظيفة من وظائف الأم أن تكفل للطفل الإحساس بالأمن والطمأنينة. فى حين تصبح وظيفة الأب هى الاضطلاع بتعليم الطفل وإرشاده وتزويده بالقدرة على مواجهة مشكلات المجتمع.

والطفل لا يلبث أن يبتسم في وجه أمه الضاحك أو المعبر ومثل هذه الاستجابة والابتسامة إنما هى أول استجابة فعليه يعبر بها الطفل لأمه عن شعوره بالارتياح والراحة.[١]

وكل انفعال يمر فى نفس الطفل وكل تجربة يخوضها تجربة سرور ورضاء أو تجربة خوف وانزعاج أو ألم أو قلق تحفر مكانها أو تخط خطها فى تلك الصفحة حتى يتكون فيها فى النهاية خط بارز واضح نتيجة تراكم التجربة وتراكم الانفعال. ومن هنا خطورة السنوات الأولى فى حياة الطفل.[٢]

ومطالب الأطفال في تلك المرحلة هى الحب والحنان والرعاية والأمن فى حضن الأم أو قريباً منها، والأم بفطرتها تعطى ذلك الحنان والحب. وبالتالى لابد أن ينال الطفل نصيبيه من الحب والحنان والرعاية بغير نقص مفسد ولا زيادة مفسدة وإن كل نقص أو زيادة فى هذا العنصر الحيوى إنما تفسد من كيان هذا الطفل، والحب والحنان والرعاية عنصر حيوى للنمو النفسانى السليم للطفل وللإنسان عامة ولكنه حين يزيد عن حده ينشئ الرخاوة والترهل البدنى والنفسى والروحى والفكرى فلابد من عنصر يوازنه هو الضبط.[٣]

---

(١) زكريا إبراهيم: مشكله الحب، ط٢ [مشكلات فلسفية ؛ (٥)] (القاهرة: مكتبة مصر، د.ت) ١٠١: ١١٣.

(٢) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ج٢، ط٤ (بيروت: دار الشروق ١٩٨٣م) ١٠٧.

(٣) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، المرجع سابق (١١٤/٢).

فالحب هو الغذاء النفسي للطفل

وإذا كانت التنشئة النفسية السليمة تقضى بأن ينمو الطفل فى جو مشجع بالحرية خال من القيود بقدر الإمكان فإنها فى الوقت نفسه تقتضى أيضاً بأن يمارس قدراً من النظام، والطفل كائن منطقى يستجيب إذا لقى الاحترام وعومل على مستوى إنسانيته.(١)

ويتبع الوالدين أسلوب المكافأة عند نجاح الناشئين فى اتباع أوامر الشرع بالمدح والحنان والثناء والاحترام، فإذا شعر الطفل بأن الانقياد لتعاليم والديهم يكسبهم الحب والاحترام والتقدير، فإن اعتزازهم برضاء الوالدين يدفعهم لفعل الخير والصواب.. أما التدليل والتفريط والإرهاب والضغط فكلاهما له أثاره السيئة.(٢)

والطفل فى أمس الحاجة إلى حب غير مشروط، لأنه أحوج ما يكون إلى رعاية جسمية ونفسية والأم تكفل له الإحساس بالأمن والطمأنينة ثم هى أيضا تضطلع بتربيته خلقياً وإيمانياً واجتماعياً..(٣)

والطفل يكتسب القيم الخلقية والروحية الموجهة له نحو التكيف النفسى السليم عن طريق تقمصه لقيم والديه ولأوامرها ونواهيها وأفكارها من الصواب والخطاء والخير والشر والحق والباطل والعدل والظلم وكذلك عن طريق توحده مع الجو الاجتماعى السائد فى أسرته.

وتتبلور فى نفس الطفل هذه القيم السائدة على شكل سلطة داخلية تقوم مقام الوالدين حتى فى غيابهما فيما يقومان به من نقد وتوجيه وإثابة وعقاب وهكذا تؤدى به التربية الخلقية إلى أن يقيم على نفسه حارساً من نفسه هذا

---

(١) كلير فهمى: الحب النفسية لأبنائنا، [اقرأ ، (٤٢٥)] (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥م) ١٥١.
(٢) سمية فهمى: حياتنا فى ضوء علم النفس، (القاهرة: مكتبة النهضة العربية، ١٩٧٩م) ٤١.
(٣) زكريا إبراهيم: مشكلة الحب، مرجع سابق، ٩٧.

الحارس أو الرقيب النفسي يمثل مستشاراً خلقياً يرشده ويهديه ويريحه أو ينبهه ويحذره.[1]

ولعل هذا ما يعرف بالضمير أو الأنا الأعلى وهو يكتسب من مرحلة الطفولة ومن خلال الإطار الاجتماعي والقيم السائدة.

وتعد هذه القيم الروحية والخلقية هي الركيزة الأساسية للتكيف النفسي السليم كما أنها تعتبر مقوماً هاماً من مقومات الاستقرار الاجتماعي من خلال ما يعرف لدى علماء النفس بالشعور بالمحبة Feeling of togetherness الإحساس بالآخرين التوحد النفسي الاجتماعي مع أبناء المجتمع فيبني الطفل حياته وشعوره بالسعادة بإسعاده وراحة الآخرين.

وحب الأبوين للطفل هو بيت القصيد وبخاصة حب الأم ينبغي أن يكون حبًا ناضجًا يقوم على حاجة الطفل إلى الأم وحاجة الأم إلى الطفل، فالأم تحب وليدها لأنه ثمرة بطنها، الأم هي من الطفل بمثابة التربة التي صدر عنها والطبيعة التي انبثق منها أو الأرض التي ترعرع فيها.

ومن الأساليب التي يعتمدها الوالدين في سبيل تعامل سوي مع الطفل لبلوغ الصحة النفسية.

العطف على الطفل وغمره بالحب بدون قيد فالطفل محبوب في كل الظروف نثق في قدراته ونشجعه على الابتكار وننمي مهاراته ونعطيه فرص لإثبات ذاته وإشعاره بالقبول وأنه مرغوب فيه وحتى تأديبه بشئ من العطف[2].

---

(١) مصطفى فهمي: الصحة النفسية، مرجع سابق ٣٣

(٢) شارلزد ليونارد: لماذا ينحرف الأطفال، ترجمة محمد نسيم رأفت. [دراسات سيكولوجية، (٢)] ط٤ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤م) ٩١

بمعنى أن يحب الوالدين الطفل بالدرجة التي تمنحه الثقة في قدرته الذاتية على تنمية قدراته فالحب الصحيح هو الذي يراعي مصلحة الطفل النفسية[١].

فحب الطفل من الأم والعطف الجسمي أمران ضروريان للصحة النفسية ونمو الشخصية السوية فهو محتاج إلى دفء الأم والاتصال اللمسي الوثيق بها فإن أحسنت الأم إشباع أمنه في هذه السنوات باستمرارها في أسلوبها الحكيم في معاملته فإنها تكون بذلك قد عرضت في نفسه ثقته بها وأحسنت بداية علاقاته الاجتماعية الأولى.

وثقة الطفل في أمه ذخيرة يشتق منها الثقة في نفسه ثم في المجتمع الذي سيدخل فيه متدرجاً من مجتمع الأسرة إلى مجتمع الرفاق إلى مجتمع المدرسة ثم إلى المجتمع الأكبر ولذا فغياب الأم وانفصالها المتكرر أو الطويل عن الطفل من العوامل الأساسية التي تزلزل أمنه خلال السنوات الثلاث من حياته، وغياب الأم بالنسبة إليه فقدان الأمن والسند وبذلك يشعر بالضياع والشقاء والقلق[٢].

وثمة أشخاص فطروا على حب الأطفال وصفات شخصياتهم تدعو الصغار إلى الاستجابة لهم بحرية وانطلاق، والقاعدة أن الأبوين مفطورين على حب ابنهما ولكن قد لا يستطيعان إيصال ذلك وإشعار طفلهما به. ويكاد يجمع علماء النفس على أن تقبل الوالدين للطفل يؤدي إلى النمو السليم وأن نبذ الوالدين يؤدي إلى سوء توافقه والتقبل محبة أصيلة التي هي تفهم احتياجات الطفل وتقدير قوانين نموه وتهيئة الظروف الملائمة لكي ينمو

---

(١) جمال الكاشف: كيف تتعاملين مع أبنائك (القاهرة، دار الطلائع، ١٩٩٤م) ٣٢

(٢) فوزية دياب: نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، ط٣ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩م) ٩٢، ٩٣

ويتطور ويتعلم حسب قدراته، وتوجيهه بحنان واحترام وحزم عندما يخطئ ومكافآته عندما يصيب بالمدح والاستحسان[1].

ومن الضرورى أثناء نمو الطفل أن تلبى حاجاته الفسيولوجية والسيكولوجية التى ترتبط بمستوى النضج الذى بلغه كما أنه يقابل أيضاً علاوة على ذلك بمتطلبات يمليها عليه محيطه الذى يعيش فيه، وما يبلغه الطفل من نجاح فى مواجهة هذه المتطلبات يعود إلى قدرته على التكيف.[2]

حاجات الأطفال ودوافع السلوك:-

الحاجة فى اللغة: جاءت من مادة (حوج) فى القاموس المحيط ما يلى:

الحوج: السلامة: حوجاً لك أى سلامة.

الاحتياج: حاج واحتياج وأحوج، وأحوجه وبالضم: الفقر

فالحاجة بهذا المعنى شعور الفرد بنقص شئ أو فقده فيسعى فى طلبه ليدفع عن نفسه الشعور بالخطر، أو يحقق لها رغبتها من الحصول على ما تطلبه أو تميل إليه.

وتكررت مادة (حوج) فى القرآن حيث جاءت بصيغة (حاجة) ثلاث مرات فى القرآن الكريم.

(إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا) (يوسف: ٦٨)

(وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر: ٩)

---

(١) فوزية دياب: نمو الطفل، مرجع سابق، ٩٧

(٢) محمد عبد الرحيم عدس وعدنان عارف مصلح: رياض الأطفال، ط٣ (الأردن: دار الفكر، ١٩٩٩م) ٧١

وبهذا يظهر أن معنى الحاجة هنا أوسع وأشمل حيث تشمل الحاجات الحسية كالحاجة إلى الإيواء والطعام والشراب، كما تشمل الكثير من الحاجات النفسية كالحاجة إلى الشعور للأمن والتقبل والاستقرار وهذه حاجات نفسية وحسية حققها الأنصار ولإخوانهم المهاجرين كما تحقق للأنصار الشعور بالأمن ورضا الله عز وجل والشعور برحابة الصدر وطهارته عن البخل والشح وإن قل ما فى أيديهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته"

فالحاجة فى أصلها شعور الفرد بفقدان شئ يرى فى تحصيله ضرورة لاستمرار حياته وتحقيق ذاته وشعوره بالراحة والسرور.[1]

والحاجة توجد منذ الميلاد وتستمر طول الحياة وهى تتنوع وتختلف من طفل لآخر وهى تتداخل وتتداخل كيما تحقق اتزان الشخصية من خلال الإشباع، فالشعور بالحاجة أمر فطرى خلق الإنسان مزوداً به ليحقق مطالبه ورغباته وليقيم توازنه العضوى واستقراره النفسى وهو فى الوقت نفسه أحد دوافع السلوك بمعنى أنه قوة دافعة تحمل الفرد على العمل والنشاط وبذل المجهود الحركى اللازم لعملية الإشباع، بالاشتراك مع عوامل الدفع الأخرى كالرغبات والحوافز والبواعث وهى مرتبط ببعضها البعض والعلاقة بينهما علاقة أخذ وعطاء.[2]

فالشخص منذ الولادة وفى المراحل التالية للنمو لديه مجموعة كبيرة من الحاجات الجسمية التى تبعثه على أن يحقق لها الإشباع. هذه الحاجات

---

(١) محمد السيد الزعبلاوى: تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، رسالة دكتورة منشورة ، ط٣ (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٧م) ٣٦٨ - ٣٦٩

(٢) محمد السيد الزعبلاوى: تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مرجع سابق، ٣٧٠

الجسمية أو البدنية تخلق حالا من القلق والتوتر لا يخفف منها إلا بلوغها أي الغاية أو الهدف الذي يشبع الحاجة والطفل الذي تلقى حاجاته الجسمية الأساسية حرماناً قاسياً لن ينمو أو يسلك بطريقة عادية والطالب أن يصبح مثل هذا الطفل في المدرسة كفلاً مشكلاً.(١)

وينشأ عن إشباع الحاجات والدوافع أو كبتها خبرات سلوكية وانفعالية لها أهميتها الكبرى في تحديد سمات الشخصية المستقبلية.

ولدى الفرد حاجات أولية فسيولوجية كالحاجة إلى البقاء والغذاء... الخ وحاجات ترجع إلى العلاقات كالحاجة إلى العيش في جماعة وإلى الحب Love وحسن ظن والتعامل مع الآخرين... الخ

وقد طغت أهمية العوامل الاجتماعية في تكوين الشخصية والنمو عموماً على العوامل الجسمية الفيزيولوجية بحيث غلبت صفتها على الكثير من البواعث.(٢)

والطفل الوليد في نموه ليس محتاجاً إلى مجرد الطعام والشراب والهواء، لذا فإن على الأمهات والمربيات أن يهيئن للوليد على الفور الجو العاطفي والانفعالي السليم الذي يدعم نمو شخصيته منذ البدء.

الحاجات النفسية للطفل

(١) ويحتاج الأطفال من الناحية النفسية أول ما يحتاجون إلى الشعور بالأمن العاطفي to feel offectionally Secure بمعنى أنهم محبوبون كأفراد ومرغوب فيهم لذاتهم وأنهم موضع حب وإعزاز الآخرين وتظهر هذه الحاجة مبكرة في نشأتها ولذا فإن الذي يقوم بإشباعها خير قيام الوالدان.

---

(١) كمال دسوقي: النمو التربوي للطفل والمراهق دروس في علم النفس الارتقائي، (نسخة مصورة من مطابع جامعة الزقازيق، ١٩٨٠م)

(٢) المرجع السابق، ١٢٥، ١٢٦

ولأجل إشباع حاجة الطفل إلى المودة والعطف Affection هذه يربى الصغار من اللقطاء ومجهولي الأبوين والأيتام في أسر بديلة تعوضهم عن فقد الأبوين وتوفر جواً عائلياً جديداً لا تعدله في شئ تربية الملاجئ أو المؤسسات أو دور الأحداث ونحوها.[1]

هذه الحاجة ناشئة إذن عن حياة الأسرة العادية، فهي التي تخلق هذا الشعور بالحب وتتعهده بالنماء حتى تجعل منه حالة تعرف باسم:

الأمان النفسي أو العاطفي meed for security

هذا الأمان شرط أساسي لانتظام حياة الطفل النفسية واستقرار مشاعره الاجتماعية وتركزها حول هذه النواة الأولى التي تكونت في محيط الأسرة، وبدون هذا الحد يفشل الأطفال في التفتح والازدهار بل أكثر من هذا أنه تنمو فيهم اتجاهات شخصية معينة تعوق التموين العقلي والنفسي السليمين.

فإنه بناء على حب الطفل الأول هذا لوالديه وإخوته والأسرة عموماً سيقوم حب لا يشوبه الخوف بل التقدير والاحترام النابع من الود وعرفان الجميل سوف يحب معلمه. يتقبل للتعاون معه والاستجابة له وسيحب رئيسه في العمل وسيحب الناس جميعاً ويبدأ معاملته لهم بالحب وافتراض حسن النية لا بالشك والكراهية ولن يكون عدوانياً أو متهيباً الاجتماع بالآخرين أو متخوفاً منهم.

ولا ينبغي أن تضار عاطفة الطفل الأولى هذه المتفتحة للحب بظروف الأبوين أو أحدهما أيا كانت هذه الظروف كأن تعدد أبناء الأسرة وبناتها بحيث يصعب المساواة بينهم في الحب، أو كأن يكون الطفل غير مرغوب فيه من الأصل لفشل والديه.. الخ

---

(١) كمال دسوقي: النمو التربوي للطفل والمراهق، مرجع سابق، ١٣٨

كل هذه ظروف لا شأن لها يكون الطفل حين ولادته كائناً واقعياً له حق الحياة والحب وحسن الاستقبال والرعاية.

وبإيجاز إن خير ما يهدى الأبوين والمعلمين للإنسانية عموماً وللمجتمع خصوصاً طفلاً تربى على حب الآخرين وتقديرهم والتعاطف معهم.[١]

والواقع أن الإكثار من ترهيب الطفل وتهديده على كل صغيرة وكبيرة من أشد العوامل خطورة على بنائه النفسى كما أن التحقير والاستهزاء به أو إشعاره باختلافه عن بقية أخوته هي أساليب للمعاملة سوف تترك آثارها فيما بعد عليه بيد أن الحزم من أنسب الأساليب التي تحقق جزءاً من الصحة النفسية للأطفال.

وشعور الطفل بأنه محبوب ينبغى أن يبدأ من اللحظة الأولى لميلاده، فالطفل بحاجة إلى الشعور على الأقل بمصدر أمان معتمد عليه فى هذا العصر. وهذا المصدر الأمنى هو حب والديه له. والاهتمام والرعاية هو أحد دعامات الحب الهامة والتي تعنى بالاهتمام بأفكار الأطفال وإحساساتهم ونشاطهم وبما يتعرضون له من خبرات سارة وغير سارة. كما يجب أن تكون هناك ثقة متبادلة بين الوالدين والأطفال، فالثقة المتبادلة تعتبر مظهراً هاماً فى العلاقة بينهم يجب أن نزرع الثقة فى نفوس الأطفال بأنهم دائماً أمناء وغير متقلبين فشعور الأطفال بالسعادة وشعورهم بذواتهم يتوقف على ذلك الوقت والانتباه الذى يعطيه الوالدان للأطفال وعلى الوالدين تخصيص وقت معين كل يوم مع كل طفل فى المنزل ولذلك فوائد كثيرة.[٢]

فالحب والتقدير والاحترام والعطف الذى يبادله الوالدان لأطفال ما يساعدهم على الشعور بالأهمية فى صغرهم.

---

(١) المرجع السابق، ١٣٩

(٢) عبد اللطيف حسين فرج: مفاهيم أساسية لتربية الأطفال (الرياض: دار المريخ، د.ت) ٦٩، ٧٠

ومن الحكمة فى معاملة الأطفال كما يقول الغزالى مراعاة أموالهم وسنهم وأمزجتهم ومقدرتهم ومن تحتمله وإلى ذلك يذهب ابن سينا بقوله (فلا يؤخذ الوليد أولاً بالعنف وإنما بالتلطف وكذلك ابن خلدون وغيرهم).[1]

فالأطفال أحوج ما يكونون إلى اليد الحانية والقلب الشفيق فى حياتهم المبكرة حتى يشبوا على ثقتهم بمن حولهم بعلاقة الود والحب وحسبنا فى ذلك أن نتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم.[2]

ومشاعر الحب والود والحنان والعطف والرحمة مشاعر نفسية وعواطف قلبية يجب أن تعتلج فى نفوس المربين وبخاصة أقربهم للطفل وحب الوالدين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم يجعلهما يتأسيان بكتاب الله وسنة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم نستلهم هذا القبس النبوى:

فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من على المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال:

صدق الله (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ) (التغابن:١٥) فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما.[3]

---

(١) محمد عطية الإبراشى: التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط٤ (القاهرة، مكتبة عيسى الحلبى، ١٩٨٥م) ٢٢٦، ١٤٥، ٢٢٨.

(٢) إبراهيم الدسوقى مرعى: الطفولة فى الإسلام، [شباب محمد (١٠) (القاهرة: دار الاعتصام، ١٣٩٩ هـ).

(٣) صحيح الترمذى للألبانى (المناقب، ٣٧٧٤)

فانظر إلى حرصه صلى الله عليه وسلم على عاتقه وعلى دابته، فعن البراء قال: رأيت النبى صلى الله عليه وسلم والحسين على عاتقه وهو يقول (اللهم أنى أحبه فأحبه)[١].

وعن عبد الله بن جعفر أيضاً قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قدم من سفر تلقي لصبيان أهل بيته، قال: وإنه جاء من سفر فسبق بى إليه فحملنى بين يديه، ثم جئ بأحد ابنى فاطمة الحسن والحسين رضى الله عنهم فأردفه خلفه، قال فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة)[٢].

وحمل صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين على عاتقيه (كتفيه)، وقال نعم الراكبان هما وأبوهما خير منهما)[٣] وعن عمر رضى الله عنه قال: رأيت الحسن والحسين على عاتقى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت نعم الفرس تحتكما، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: ونعم الفارسان " رواه أبو يعلى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح.[٤]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق بنى قينقاع متكئاً على يدى فطاف فيها ثم رجع فاحتبى أى جلس على مقعدته وهو يشد ذراعيه حول ركبتيه فى المسجد وقال:

أين لكاع؟ ادعوا لى لكاع فجاء الحسن عليه السلام فاشتد حتى وثب فى حبوته، فأدخل النبى صلى الله عليه وسلم فكه فى فمه ثم قال:

اللهم أنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه (ثلاثاً)

قال أبو هريرة: ما رأيت الحسن إلا فاضت عيناى

---

(١) السلسلة الصحيحة (١٧٨٩)

(٢) رواه مسلم (فضائل الصحابة ٤٤٥٥)

(٣) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (٣ / ١٢٧٧)

(٤) مجمع الزوائد للهيثمى (٩ / ١٨٢)

ولكاع ولكع هو الصغير قليل الجسم وتطلق على قليل العلم.[١]

وللمسلمون في هدى المصطفى صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، حيث علمهم الرحمة وحسن اللطف والمعاملة مع المسلمين كافة.

والتفاعلات الأسرية تلعب دوراً هاماً في تشكيل حياة الطفل، فالكثير من المشاكل التربوية والأمراض النفسية التي يصاب بها الفرد في سنوات متأخرة من حياته تكون نتيجة التربية الخاطئة في حياة الطفل الأولى وقد تحدث صعوبات بالغة في علاج هذه العادات والتوجيه والإرشاد الملائمين من قبل الوالدين للطفل بطريقة تتفق مع قدرات الطفل يعتبر أمرًا بالغ الأهمية في تربية وإعداد الطفل، نظراً للفترة الزمنية التي يقضيها الطفل مع والديه ولذلك يجب أن يكون الوالدان على درجة كافية من المعرفة والوعي والإحاطة بأساليب التربية حتى يكون التوجيه والإرشاد مناسبين.

والإسلام قد وضح لنا كيفية معاملة الأطفال والمدى الذي معه مراعاة أوضاعهم والاهتمام بأحوالهم حتى تكتمل مدارك هذا الطفل.[٢]

وقد أكد علماء التربية وعلم النفس على أهمية مرحلة الطفولة والتي من خلالها يتم تحديد ورسم شخصية الطفل المتكاملة وإكسابها العديد من القيم الحميدة وغرس فيها بذور المحبة والإخاء وتحديد اتجاهاتها السليمة والتي من خلالها يسلك الطفل مساره الذي يؤمن له أهم السبل لتكوين نموه الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي بما يتناسب والتطورات المعاصرة لمرحلة رجولته.[٣]

---

(١) النهاية لابن الأثير (باب لكع)

(٢) عبد الغني عبد الطيف، حقوق الطفل في الجمهورية اليمنية، مجلة الصحة النفسية، العدد (١٢) (اليمن: الجمعية النفسية اليمنية، سبتمبر ١٩٩٦م) ١٥: ٢٥

(٣) محمد حسن كاعش : الطفل والتربية والتعليم، مجلد الصحة النفسية العدد ١٢ (اليمن: الجمعية النفسية اليمنية، سبتمبر ١٩٩٦م)، ٤٥

الأطفال لهم حاجاتهم وهم يتطلعون إلى الحب وإلى الحنان وإلى الأمان وإلى النمو والتطور والأمن والسلام.

يحتاجون إلى الصحة الجسدية والعقلية والنفسية.

ولذلك فهم فى أمس الحاجة إلى إشباع حاجتهم بالمحبة والعطف والحنان والرعاية فالصحة النفسية للطفل تتحقق أول ما تحقق من خلال إشباع الحاجة إلى الحب.

فنفس الطفل تنمو مع الحب الصحيح، الحب المستنير الواعى، فليس كل حب يقدم مع الأسف — بالغذاء الملائم المفيد لنفس الطفل.

والحب الواعي المستنير يقتضينا أن نبرأ أولاً بإحاطة الطفل بحق من الدفء، دفء شعورنا وحناننا وإقبالنا، وبإعطائه من أنفسنا بسخاء، فإن ذلك خليق بأن يملأ ثقته بنا واطمئنانه إلينا وبالتالى ثقته بنفسه واطمئنانه إلى العالم حوله.[1]

وهكذا يتبين لنا الحاجة النفسية الأولى للطفل وهى حاجته إلى المحبة والمودة والرعاية والعطف والرأفة والحنان.. وأن الحياة العائلية هى المدرسة الأولى لإشباع هذه الحاجة وأن الأم بخاصة باعتبارها المحضن الأول للطفل تتحمل عبء هذا الدور بجانب دور آخر يضطلع به الوالد الحنون والأب الرحيم والراعى الشفيق.

إن مما يزيد الأمر أهمية أن الاضطرابات السلوكية وميوعة الشخصية وغيرها عندما تحدث يحتار الآباء فى حلول لها والجميع من العلماء يقررون أن ذلك ناتج عن إغفال وعدم إشباع لحاجات الطفل أو إتباع أسلوب خاطئ من أساليب التربية.

---

(١) كلير فهمى: الحب والصحة النفسية لأبنائنا، [اقرأ : (٤٢٥)]، مرجع سابق ١٣١

ولأن الإسلام دين يكسب الطفل وجاء وحصانة ووقاية ومناعة بحسن توجيهاته ويسر تعاليمه وحكمة مراميه وأغراضه، فقد حصن الوالدين والأسرة بما يكفل سعادتهما فالبيت المسلم الذى يحيا بشريعة الإسلام يمتلئ سعادة وفرحاً وطمأنينة وغير ذلك وحتى إن مرت عليه أزمات ومكدرات فهو يمتاز بصفاء الإسلام ونصاعة آرائه.

ومن ثم فلنعد إلى شرع الله في بيوتنا ولنعطى أطفالنا ما يحتاجون إليه من الحب، والطفل ما لا يعرف فى صغره إلا الاستمتاع واللهو والبهجة، ونحن مسئولون عنه، فمن الواجب نحو الطفل الملاطفة والمسامحة مع الحب والحنان وإذا اقتضى الأمر حسماً فى أمر معه فليكن برفق ولين وعطف. فإذا ما استثمر حنان الأم وحزم الأب، اعتدل العطاء التربوى عند الطفل وتميز له الصواب والخطأ بين دوافع الرغبة والرهبة ونشأ لديه الضمير، واتضحت له المبادئ.[1]

إشباع حاجة الطفل إلى الحب والرعاية تؤثر فى نفسيته وفى سلوكه، فيحب الخير للآخرين وينضبط عند الغضب ويتصف بالجرأة والصراحة والشجاعة فإشباع الحاجة إلى الحب سبيل المرح النفسى والذكاء والسعادة والطمأنينة والنماء النفسى.

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عينى عن الغمض[2]

ولا نمل من تكرار أن المناخ العائلى والعلاقة بين أفراد الأسرة من أهم العوامل التى تؤثر على عمليات النمو النفسى والاجتماعى للطفل، فالطفل

---

(١) محمد حسين: العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم ، مرجع سابق.

(٢) للشاعر الإسلامى المخزومى القرشى حطان بن المعلى

يحتاج لرعاية الأبوين وحبهما له واهتمامهما به وأن يدرك أن هذا الحب نابع من إحساسهما بأنه طفلهما.

وتلعب عواطف الآباء دوراً أساسياً فى تكوين شخصية الطفل وسلوكه النفسى والاجتماعى(١).

وإغداق من الحب كما يقولون لا يرفع درجة حاصل ذكاء الأطفال العاديين وحدهم، بل إنه يزيد بدرجة أكبر حاصل ذكاء المتخلفين عقلياً، هذا ما أثبتته دراسة أجريت على أربعين طفلاً متخلفاً عقلياً، قسموا إلى مجموعتين عوملت إحدى المجموعتين معاملة عطف وعناية ورعاية عادية وعوملت المجموعة الأخرى بحب بالغ واهتمام شديد وعناية فياضة فكانوا يحظون بقدر كبير من القبل والحب والمداعبة والحنان وعبارات الاطراد على مدار اليوم، لوحظ بعد سبع سنوات أن أطفال المجموعة الثانية حصلوا فى اختبار ذكاء أعطى للمجموعتين على درجات أعلى مما حصلت عليه المجموعة الأولى وتزداد من ٢٠ إلى ٣٠ درجة، بينما لم تتحسن حالة الآخرين لعل سبب هذا التحسن هو أن مداعبة الأولاد تؤكد لهم حب ذويهم(٢).

والحب يفتح الذهن لتقبل المزيد من الفهم والمعرفة، طمعاً فى المزيد من الحب فحاجة الطفل إلى الحب لا تزال تبحث عن إشباع وتلح طلباً للمزيد حتى نجنى ثماراً طيبة ونفسية سوية وشخصية متوازنة.

إن الحاجة إلى العطف والحب والطمأنينة من الحاجات الأساسية للطفل منذ يومه الأول وإن هذا الاحتياج ليزداد ويقوى يوماً بعد يوم ويذكر أحد

---

(١) محمود السروجى ومصطفى عبود وإبراهيم حسن: موسوعة الأم والطفل (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٥م) ٢٠٠٢

(٢) جمال الكاشف: كيف تتعاملين مع أبنائك (القاهرة: دار الطلائع ١٩٩٤م) ٩١ – ٩٢

الباحثين في هذا الصدد أن من أهم عواقب حرمان الطفل من العطف والحنان والمحبة في سنيه الأولى هو عدم قدرته على محبة الآخرين أو تلقيه المحبة منهم فيما بعد.[1]

وثمة فرق بين الوالد البيولوجي والوالد النفسي، فالوالد البيولوجي الأب والأم الذين أنجبا الطفل، أما الوالد النفسي فيقصد به من يقوم بعملية الأبوة والأمومة والتربية والرعاية النفسية، وينطبق هذا على الأب البديل والأم البديلة والمدرس والمدرسة والطبيب والطبيبة وكل من يقوم بتربية الطفل ورعاية نموه النفسي.

وإن الوالد النفسي يجب أن يكون قادراً على القيام بدور الوالدين وأن يحب الطفل ويقدره ويحترمه كشخص ويحب صحبته وتربيته ويفهم سلوك الطفل ويمده بالدعم والرعاية اللازمة ويتحلى بالصبر ويستجيب لحاجات الطفل وأن يتقبله ويسعد به ويسعده.[2]

والأبوان مفطوران على حب ولدهما، وقد أمر الإسلام الوالدين الأهل غمر الطفل بالعطف والحنان وإحاطته بالمودة، حيث أن الطفل يحتاج إلى هذه المشاعر الحنونة في بداية حياته حتى يسهل عليه تلقي وتقبل التوجيه السليم، ولقد وجد علماء التربية المحدثون صدق ما أمرنا به ديننا الحنيف فقرروا بأن الأمن العاطفي شرط أساسي لانتظام حياة الطفل النفسية واستقرار مشاعره الاجتماعية ولقد أثبتت دراسات كثيرة بأنه بدون هذا الحب والعطف والحنان في مرحلة الطفولة يفشل الطفل في النضج والازدهار من الناحية النفسية والجسمية العقلية.[3]

---

(١) سهير كامل أحمد: سيكولوجية نمو الطفل، مرجع سابق، ١٧٧ وانظر بنية الغيرة: المشكلات السلوكية عند الأطفال، ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧٨م)

(٢) حامد زهران: علم نفس سابق، مرجع سابق، ٩٣

(٣) سهير كامل أحمد: سيكولوجية نمو الطفل، مرجع سابق، ١٢١، ١٢٢ وانظر: حسين محمد حسان: دور الحضانة ورياض الأطفال في المملكة العربية السعودية، نظرة تحليلية، رسالة الخليج العربي العدد العشرون (مكتبة التربية لدول الخليج، ١٩٨٦م) ٧٤

ودلت الدراسات أنه كلما كان ضغط سلوك الطفل وتوجيهه قائماً على أساس الحب والثواب أدى ذلك إلى اكتساب السلوك السوى والسيطرة بطريقة أفضل فى ضبط سلوك الطفل ونمو مشاعره بالإثم عندما يقوم بسلوك غير ملائم وكلما قل دفء الوالدين وكلما زاد عقابها للطفل أدى ذلك إلى بطء نمو الضمير لديه.

ومن ثم يحتاج الطفل فى نموه الانفعالى وباعتباره كائناً اجتماعياً إلى إشباع حاجات نفسية أساسية عنده ومن أهمها حاجة الطفل إلى التجاوب العاطفى من دائرة الأسرة بالمحبة والنمو.

يريد أن يشبع من حب أمه وحب من حوله له وأن يعبر لهم عن حبه نحوهم، ويخطئ بعض الآباء إذ يربون أولادهم تربية يظنون أنها مبنية على العقل والمنطق وقد تكون فى الواقع مؤسسة على مجموعة من القواعد الجافة الخالية من كل بون، بينما يريد الطفل أن يشعر شعوراً كاملاً بحبه لوالديه، وبحب والديه له. وهذا أحد أسباب أفضلية التغذية الطبيعية مثلاً من ثدى الأم على التغذية الصناعية، ففى الأولى تحضن الأم طفلها، ويتمتع الطفل بأمرين هما: الغذاء والحنان.

وأما التغذية الصناعية فإنها تخلو غالباً من شعور الطفل بحنان أمه، ولذا يحسن فى حالة الأطفال الذين تضطرهم ظروفهم إلى تغذية صناعية أم تحملهم أمهاتهم عند تغذيتهم إلى صدورهن وإذن يضعنهم فى الوضع الخاص الذى ينصح به أطباء الأطفال.[١]

وكثيراً من حالات السرقة والهروب من المنزل ومشكلات انحراف الأحداث سببها جفاء الآباء وخلو المنزل من العطف.

---

(١) عبد العزيز القوصى: أسس الصحة النفسية، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٥م)

ومن الدراسات التى أكدت أهمية الاستقرار الأسرى فى تحقيق السواء النفسى وتهيئة مناخ أسرى تسوده المحبة وتغمره الألفة ويشيع بين أفراده التعاون دراسات (نبيه إسماعيل (١٩٨٩م) وعبد العزيز القوصى (١٩٧٥م) وكليفور أندرش (١٩٦٥م)، عبد السلام عبد الغفار وعثمان فراج (١٩٦٦م) ونوربرت ويجورد ألكون ويفرز (١٩٧٤م) وسلوى الملا (١٩٧٧م)، وبارون (١٩٦٧م)، وغيرهم من الذين اهتموا بالمحبة والمودة والعطف الأسرى وأثره فى تحقيق السواء النفسى.[1]

ومن ثم تلعب علاقات الوالدين والود والعطف والحب والحنان والرعاية أثرًا كبيرًا فى تحقيق السواء النفسى واكتمال جانب هام من شخصية الطفل.

ومن هنا كان حرصنا على إفراد مؤلفين متواضعين لهذا الموضوع قد نالا من الاهتمام ما يحتاج إلى المزيد غير أنهما يتضمنان جوانب نمائية لمن الأهمية بمكان أن تستمر فى الحفاظ عليها وأن تزكى نفوسنا وصولاً إليها وإلا سيكون عهدنا شخصية مسلمة عالية الهمة قوية العقيدة بحب الله ورسوله سليمة الإيمان صافية النفس – إلخ بعد أمر دونه خرط القتاد.

ففى فلسفة المحبة وأثرها فى سيكولوجية الطفل[2] قد كان لإشباع النفوس بحب الله عز وجل المنعم الخالق البارئ الودود الجميل الوهاب، له صفات الجمال والكمال والجلال وحب المصطفى خليل الرحمن كما وضحنا وحب آل بيته وذريته وزوجاته وصحابته لمن أصول العقيدة وغراس الإيمان ومناط بناء الشخصية المسلمة.

---

(١) نبيه إبراهيم إسماعيل: الصحة النفسية للطفل فى ضوء الأثر الإيجابى للحاجات الأساسية للنمو والتغيرات الحياتية، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٩م) ١، ٢

(٢) راجع مؤلفنا: فلسفة المحبة وأثرها فى سيكولوجية الطفل.

ولتحقيق ذلك والتمتع بالصحة النفسية أفردنا مؤلفًا بسيطًا لكنه عميم الفائدة عن الحب الوالدى والأسرة والجو الهادئ المعقم بالحنان والحب وأثر ذلك فى نفسية الطفل وشخصيته.

خلاصة ذلك أن الأسرة المؤمنة الملتزمة بشرع الله تحقق لأبنائها الصحة النفسية التى يعجز عن نيلها وإدراكها غير المسلمين كما وضحنا هناك.

فالإسلام يتغلغل فى النفوس فيربيها على مراد الله وطاعته وحبه وحب من يحبه فأين نحن من ذلك!؟

والأنكى من ذلك أن القلوب قد صدأت وكلت عن فهم مراد الله وصار لها الهوى هو المتعة والمخالفة هى الأصل والإتباع لله ولرسوله يوصف بشتى الأوصاف التى تشمئز منها النفوس، بيد أن غيام السماء لا يعمى على صفائها ويوشك الغيام أن ينكشف ويحق الله الحق، وهنيئاً لأهل الحقِ فاللهم اجعلنا وذرياتنا من هؤلاء.

(رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) (آل عمران:٣٨)

(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (البقرة:١٢٨)

هل من رضا نفس وقناعة خير من هذا !!؟

ولا غرر بعد ذلك أن يكون إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية يسهم إسهاماً كبيراً فى بناء وتشكيل الشخصية الإنسانية ونموها يشكل إنسانًا سويًا سليمًا.[1]

وعدم إشباعها يورث عجزاً واضطراباً نفسياً والحرمان منها يؤدى إلى الانحراف والمرض.

---

(١) نبيه إسماعيل: الصحة النفسية للطفل، مرجع سابق: ٢١

فإشباع الحاجة إلى الطمأنينة والمحبة يحقق الأمن النفسي، والمتبصر يفهم ارتباط هذه الحاجات ببعضها فالحاجات البيولوجية الأولية تسهم في تحقيق الثانوية المكتسبة فالأمن النفسي مرتبط بالأمن الغذائي ولكي يكون الأخير سليماً يحتاج إلى إشباع الأول فالطفل كائن متكامل.

فهل تعي الأمهات أن ضم الطفل إلى صدرها واحتضانها إياه والابتسامة في وجهه ومراعاته وإشباع عاطفته وحاجته إلى الإحساس بالأمن والراحة والطمأنينة والعطف يشكل جوهراً في تشكيل نفسية الطفل وشخصيته. وحياته الاجتماعية المقبلة.(١)

وإذا عاش الطفل مقبولاً فإنه يتعلم أن يحب، والحب رد فعل انفعالي موجه نحو شخص أو شيء، وتعبر المحبة الطفلية عن نفسها بالحضن والربت وتقبيل الشيء أو الشخص المحبوب ويتعلم الطفل أن يحب أولئك الذين يعطونه الرضا والإشباع.(٢)

ونحن نهيب بضرورة إشباع هذه الحاجات عند الطفل بكل ما يستطيع الوالدان بل فوق ما يستطيعان تقديراً لما لها من أهمية في تنشئة الطفل النفسية والاجتماعية ويرتبط بحاجة الطفل الأولى إلى الأمن العاطفي والمحبة.

الحاجة إلى الشعور بالانتماء والتقدير والحرية والنجاح والتوجيه ونلحظ شغف الأطفال لإشباع هذه الحاجات وأهمية الحصول عليها وضرورتها.

فهو لا يطلب كثيراً بل يريد أن يكون كالآخرين له دوره ومكانته الاجتماعية التي تشعره بأنه مقبول ومرغوب فيه فيحسن العيش والتوافق مع

---

(١) راجع مؤلفنا: الحب الأسري وأثره في نفسية الطفل

(٢) سعدية محمد علي بهادر: في علم نفس النمو، ط١٠ (القاهرة: دار البحوث العلمية، ١٩٩٤م) ٢٤٥

الآخرين، هذا مما قد يعرف ببعض الحاجات الأساسية النفسية والاجتماعية للطفل.

فالحاجة إلى الانتماء والتى يكسبها الفرد خلال مراحل عمره من البيئة التى يعيش فيها وينتمى إليها.

ويمثل إشباع الحاجات النفسية الأساسية للطفل أهمية خاصة فى تحقيق النمو والتوافق النفسى السليم.

والانتماء belonging أول الأمر للوالدين والأسرة ثم إلى الجماعات غير النظامية التى يكونها الأطفال كالفرق الرياضية والنوادى والجمعيات والشلل الخاصة وأخيراً الانتماء إلى الجماعات المنظمة. ومنشأ الحاجة إلى هذا الشعور كما نرى حاجة الإنسان إلى العيش فى جماعة Need to live society وقد قلنا إن الشعور بهذه الحاجة يرتبط بالحاجة إلى المودة والعطف لأن هذا نتيجة طبيعية لتلك، فالألفة Familiarity التى تخلقها المحبة داخل الأسرة تنقلب إلى بلاء لهذا المجتمع الصغير ثم تنتقل الحاجة إلى الانتماء للجماعات الأخرى التى يجد فيها الطفل إشباع الحاجة إلى الأمن العاطفى.

لذا فإن هاتين الحاجتين تنطويان على أخص خصائص الحياة الاجتماعية.[1]

ومن ثم يتعين على الآباء والمربين إشباع هذه الحاجات عامة بالأخص الحب والانتماء ريثما يصل الطفل وينضج إلى الغيرية والإيثار.

والحب والانتماء كلاهما من الحاجات التى يتطلبها المرء من المهد إلى الوفاة.

---

(١) كمال دسوقى: النمو التربوى للطفل والمراهق، مرجع سابق، ١٣٩، ١٤٠

وإشباعها عن طريق إحساس الطفل بأنه موضع اهتمام أو رعاية الوالدين وعطفهما بشرط ألا يبالغ في إبراز هذه المشاعر حتى يمكن أن تحقق العائد النفسي من إشباع الحاجة إلى الحب والانتماء ولمشاعر الوالدين تجاه طفلهما حال احتضانه وضمه إلى صدرهما ولأسلوب مداعبته ومخاطبته بالحديث اللين الذى يتوافق ومستوى إدراكه والتعزيز لمختلف أنماط السلوك السليمة التى يصدرها الطفل الأثر البالغ في مدى إشباع حاجة الطفل للحب وما يمكن أن يكون عليه من درجة الإحساس بالأمن النفسي والطمأنينة والثقة بذاته.[1]

ومن ثم التطلع إلى محبة الآخرين والتعامل معهم وهذا هو لب الانتماء للآخرين والعيش معهم، وإن من أسوأ الأمور أن يذكر الوالدان مساوئ الطفل وعيوبه أمام زملائه وأقاربه أو إحداث المقارنة بينه وبين غيره والسخرية والاستهزاء منه، مما له أثر سيئ تشكل فى نفسية الطفل بئس الصنيع منهما!!

حيث تزلزل نفسية الطفل وتزعزع ثقته بنفسه ويفقد الأمن والطمأنينة ومن ثم يتجنب الآخرين حتى تعود ثقته بنفسه مرة أخرى، وتلك لعمرى مهمة شاقة، تتطلب المزيد من العطف والحب والحنان والتشجيع حتى يتمكن من مواجهة ومعاملة غيره من الناس دون خجل أو انسحاب، فضلاً عن اكتسابه القدرة على المبادأة فى إنشاء علاقات جديدة مع غيره من الناس بحرية واستقلالية ودون تردد أو خوف أو تمنع.

ولا يتقدم الطفل فى ميدان إلا إذا اطمأن إليه وشعر بالأمن نتيجة لفهمه الموقف، والعجز عن التعامل معه يورث القلق والخوف وعدم الاستقرار.

---

(١) نبيه إسماعيل: الصحة النفسية للطفل، مرجع سابق: ٢١

ومما لاشك فيه أن معاملة الطفل كإنسان له قيمته، كأن نلتفت إليه عند الحديث عنه، ولا نقدم عليه غيره في كل مرة أو نهمله، ويستحسن أن نثق به، ونوكل إليه أعمالاً تشعره بقيمته عندنا وتشعره بقيمته في نظر نفسه ويكتسب الطفل هذا من اللعب والتزحلق والجرى وميله للحرية في الحركة ويتبعه ميله لحرية التعبير ولحرية الكلام والتفكير والسؤال والاستفسار.(١)

فبهذا نشبع حاجة الطفل للأمن والحب والانتماء والحرية والنجاح والاستقلالية ومن ثم سلوك طيب يحاول تطبيقه وسوية نفسية مستقرة مطمئنة رغم حيويتها ونشاطها المستمر.

وعن طريق اللعب يتمكن الطفل من إحداث التفاعل مع غيره من الأطفال بما يجعله قادراً على تكوين علاقات اجتماعية مع أقرانه ومع غيرهم ممن يكبرونه في العمر الزمني ويتيح له اللعب فرصة افتقاد الأصدقاء فضلا عن اكتساب أدوار مختلفة في الحياة وإدراك أهمية أدوار الآخرين بالنسبة إليه ربما يمكنه من اكتساب قيمة التعاون وإدراك أهميتها في الحياة وغيرها من القيم التي تسهم بشكل إيجابي في تكوين شخصيته على أساس سليم.(٢)

كل هذا يتم في توجيه ورعاية، ألا تر أن أطفالنا يتصارعون ويصرفون ويتشاغبون أكثر مما يلعبون؟ من حق الطفل أن يلعب ولكن يأدب لاكتساب الفضائل ليس الرذائل ولله در أناس كان لعب أطفالهم خدمة للدين وطاعة لرب العالمين!

---

(١) عبد العزيز القوصي: أسس الصحة النفسية، مرجع سابق، ٨٠، ٨١ بتصرف

(٢) نبيه إسماعيل: الصحة النفسية للطفل، مرجع سابق: ٣٥

ويجب أن يأتي سلوكنا مع الأبناء والعديد من مؤيدى اعتقاد الطفل بأن المحظوظ وحده بالحب والإخلاص[١] وليس منطق الطفل حينئذ مما يقبل اقتسام الحب مع غيره بل إن استمراره فى الميدان يقوم على افتراض أنه هو كل شئ وغيره لا شئ وإن وجود غيره لن يؤثر فى مركزه لأنه محبوب لشخصه، وأخته محبوبة لشخصها وكلاهما عالم مستقل[٢] كما تسهم إشباع الحاجة إلى الصداقة أو الانتماء إسهاماً كبيراً فى مدى النمو الاجتماعى للطفل حيث تدفعه إلى الائتلاف لغيره من الأطفال وإحداث التفاعل معهم وبذلك يمكن أن تذوب رويدا نزعة الطفل إلى الانفرادية وتتمنى لديه أهمية العمل الجماعى وتبرز قيمة الالتزام بالقيم كالتعاون والإخلاص والولاء وكلها عوامل ذات أهمية كبيرة فى التوافق النفسى وإحداث النمو الاجتماعى وما يمكن أن يكون معيناً الطفل من مستوى النمو النفسى السليم[٣]

وهذا يؤكد ما سبق أن أسلفناه من ضرورة تهيئة المناخ الأسرى العائلى المناسب بما ينعكس أثره على المناخ النفسى والاجتماعى السليم للطفل، فسعى الطفل للانخراط فى جماعة أمر هام ولكن يحتاج إلى وعى وضبط وتوجيه، ولذلك أثره فى أدب الطفل وخلقه وسلوكه وقيام الطفل بأدوار معينة كالقيادة والمسئولية ويتسم بالتوجه إلى الغير وخدمتهم فيما يعرف بالإيثار وفهم الذات وتقبلها سبيلاً لفهم العالم المحيط وإدراكه ويسر إقامة علاقات اجتماعية سليمة وهذا يتطلب مزيدًا من التوجه فى نمو إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية السابقة.

---

(١) وقد أكدت هذا أ- د/ سامية القطان في حوار مع قسم الصحة النفسية وزادت أنه لابد أن يشعر كل طفل بأنه يحظى بالحب والرعاية أكثر من غيره فهو الأول والأفضل وهكذا مع سائر الأولاد حتى يتشرب ويشبع كل واحد منهم من الحب والرعاية.

(٢) كمال دسوقى: النمو التربوى للطفل والمراهق، مرجع سابق، ١٤٠

(٣) نبيه إسماعيل: الصحة النفسية للطفل، مرجع سابق: ٣٥

فضلاً من التحلي بالحكمة والكياسة والفطانة فى إشباعها بلا إفراط أو تفريط والإشباع بالقدر المناسب والمعقول لا سيما أن هذه الحاجات جميعها تتكامل وتتفاعل مما من شأنه أن يجعلنا نظفر لكل حاجة فى ذاتها وفى علاقتها بغيرها بصورة شمولية كلية مخططة، حتى نصل إلى شخصية سوية متزنة.

ولذا نؤكد على أهمية المناخ الأسرى والمقدس فى تحقيق الصحة النفسية الحاجات والدوافع والانفعالات.

إن الحاجة مصطلح واسع يندرج تحته عدد كبير من مصطلحات أخرى فى علم النفس كالدافع والحافز والباعث والرغبة والمطلب، ومع اختلاف حروف هذه المصطلحات إلا أنها تعنى فى دلالتها الدافع لممارسة أنواع مختلفة من النشاط والإتيان بحركة محدودة بهدف تحقيق أغراض معينة وهو مفهوم يشير إلى أن سلوك الإنسان يتوقف إصداره على الدفع والتحريك الذى يحدثه ما لدى الإنسان من حاجة أو رغبة أو مطلب يجعله فى سعى لإشباعها.(١)

والدافع هو القوى المحركة التى تبعث النشاط فى الكائن الحى وتبدى السلوك وتوجهه نحو هدف أو أهداف معينة ووظيفة الدوافع أن تدفع الفرد إلى القيام بإشباع حاجاته الأساسية الضرورية لحياته وبقائه.(٢)

ولقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى الذى منح نعمة الوجود لكل مخلوق أن يودع فى مخلوقاته خصائصها وصفاتها الخاصة التى تؤهله لأداء الوظائف التى خلقها الله تعالى لها (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى)

---

(١) نبيه إسماعيل: الصحة النفسية للطفل، مرجع سابق: ١٠

(٢) محمد عثمان نجاتى: القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ٢٣

(الانسان:٣)

(قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (طه:٥٠)

فالحاجة هى الشئ الذى يحرك الباعث، أى يطلقه من عقاله ويجعله فى حالة حركة فهو القوة التى تجعل الفاعلية موجهة باستمرار نحو تحقيق هذا الهدف، فالحاجة توجد حالة من القلق أو التوتر لا يخفف منها إلا بلوغ الغاية أو الهدف الذى يشبعها والسلوك لا ينطلق إلا مدفوعاً، ومن المسلم به عموماً الآن أن الدوافع التى تكمن وراء السلوك بعضها دوافع باطنة موروثة والأخرى اكتسابية متعلمة اجتماعياً وثقافياً.[١]

وإلى هذه الدوافع والحاجات تتجه التربية وعلم النفس والصحة النفسية للطفل والراشد ويذهب بعض علماء النفس المحدثين مثل إريك فروم إلى القول بأن بعض الدوافع النفسية والتى يسميها الحاجات النفسية مثل: الحاجة إلى الانتماء والحاجة إلى السمو، والحاجة إلى هوية، والحاجة إلى إطار للتوجيه هى حاجات فطرية أساسية فى طبيعة الإنسان وهى ليست مكتسبة من المجتمع[٢]. وقام إبراهام ماسلو باقتراح تصنيف جديد للدوافع يشمل الدوافع الروحية. فقال بوجود نوعين من الدوافع أو الحاجات على حد تعبير ماسلو: حاجات إنسانية، وحاجات روحية.

وتشمل الحاجات الروحية (الحاجات المرتبطة بالعدل والخير والجمال والنظام والاتحاد) ويرى ماسلو أن حاجات الإنسان الروحية فطرية يتوقف على إشباعها تكامل نمو شخصية الفرد ونضوجه.[٣]

---

(١) كمال دسوقى: النمو التربوى للطفل والمراهق، مرجع سابق، ١٢١، ١٢٢ بتصرف

(٢) محمد عثمان نجاتى: القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ٣٨

(٣) محمد عثمان نجاتى: القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ٣٨

ورغم هذا التأكيد على فطرية هذه الدوافع النفسية إلا أننا نرى أن للمجتمع دوره فى تزكيتها وإشباعها أو حرمان الطفل من ذلك مما يتولد عنه الأثر الأكبر فى شخصية الطفل ونفسيته إيجاباً أو سلباً.

فالدافع قوة فطرية كامنة تخص الإنسان على فعل ما يجلب له المسرة واللذة أو يشبع حاجته الضرورية أو يرى الخطر الذى يعود عليه بالألم والحسرة.(١)

وعرفه السمالوطى بأنه حالة داخلية، جسمية أو نفسية، فطرية أو مكتسبة، تثير السلوك وتحدد نوعيته واتجاهه وتسير به نحو تحقيق أهداف معينة من شأنها إرضاء جانب معين من جوانب الحياة الإنسانية.(٢)

والدوافع الفطرية هى استعدادات طبيعية يولد الفرد مزوداً بها، أما الدوافع النفسية والاجتماعية والعقلية فهى مكتسبة من خلال التفاعل مع البيئة التى يعيش فيها وفى ذلك إعادة نظر.

ودافع الحب والحنان مثلا له جذور عميقة فى طبيعة الإنسان، وله تأثير كبير فى صحته النفسية وسلوكه الاجتماعى، قال الله تعالى (إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طـه:٣٨-٣٩)

فالمحبة التى نشرها الله على سيدنا موسى بأن القى محبته فى قلب كل من رآه أو جاوره، ليعيش موسى عليه السلام فى جو هادئ مملوء بالمحبة والمودة والعطف والحنان، كما ينمى الإسلام دافع الولاء والانتماء فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل

---

(١) محمد السيد الزعبلاوى: تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مرجع سابق، ٣٨

(٢) نبيل محمد السمالوطى: الإسلام وقضايا علم النفس الحديث ط٢ (جدة: دار الشروق، ١٩٨٤م) ٩٠.

الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى" صحيح مسلم.[1]

ونعود فنقرر بأن الدوافع الفطرية سابقة على كل تعلم وخبرة واكتساب وهى تلك الدوافع التى تقود الطفل الصغير فى سلوكه اليومى. أما تلك التى يدركها الفرد من خلال احتكاكه بالغير فهى المكتسبة.

ويستلزم تكيف الطفل مع بيئته تكيفاً سليماً أن يعدل من دوافعه الفطرية الأولية.[2]

وليس غير الإسلام يجيد إشباعها وتزكيتها بيد أن الكثيرين لم يفهموه فالإسلام مثلاً أمر بالعدل والمساواة بين الأولاد وأن تكون طفولتهم مفعمة بالحب والود والحنان كما هو حال رسولنا المصطفى صلى الله عليه وسلم أطفال المسلمين وعندما يحابى الوالدان أحد أولادهما، ويهملان كلاهما أو أحدهما طفلاً آخر ينشأ هذا الطفل معقد به مشاعر نفسية سلبية مثل عدم الطمأنينة والخوف من المستقبل والغيرة ومشاعر الحقد والحسد.[3]

لقد حقد إخوة يوسف عليه واشتد حقدهم وحنقهم لما رأوا أباهم يدنيه منه ويقربه إليه، ويعقوب عليه السلام لم يقرب يوسف عليه السلام إلا لما رآه فيه من علامات النبوة بعد رؤية رآها. فلقد جهل إخوة يوسف سبب شدة محبة أبيهم ليوسف ولم يدفعهم ذلك إلى النظر فى سلوكه وأدبه وطاعته بل اندفعوا فى حقد وبغض وحسد.[4]

---

(١) محمد السيد الزعبلاوى: تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مرجع سابق، ٢٠١، ٢١١

(٢) محمد مصطفى زيدان: النمو النفسى للطفل، والمراهق ونظريات الشخصية، (جدة: دار الشروق، د.ت) ٤٦

(٣) محمد محمود محمود: علم النفس المعاصر فى ضوء الإسلام (جدة: دار الشروق، د.ت) ٩، ١٠ ومحمد عثمان نجاتى: علم النفس فى حياتنا اليومية، ط١١ (الكويت: دار القلم) ٧٢: ٧٦

(٤) محمد السيد محمد: تربية المراهق فى الإسلام وعلم النفس، مرجع سابق، ٢١٩

ومما لاشك فيه أن الدوافع عند الطفل والإنسان عامة لا تشبع بطريقة همجية فوضوية وإلا صار حيواناً خالف تكريم الله له بالعقل والنطق واللغة والاختيار ولكون الإسلام دين الفطرة فهو يلبى الدوافع الفطرية والاجتماعية والنفسية ولا يستنفزرها ويستحقرها ولا ينفر منها أو يدعو إلى الفروق عنها إنما ينظمها ويهيئ لها الجو المناسب الذى تتحقق معه أهدافها ويتوصل إلى غاياتها، أن التشريع الإسلامى لا يترك الأطفال يهيمون فى المجتمع حيارى معذبين نفسياً، ولا هو يأمرهم بكتب دوافعهم أو قمعها واكن يعطي الإسلام للإنسان الحصانة والوجاء النفسى إذا الطفل يتعلم معانى الصبر والطاعة والاحترام والحب لله ولرسوله وللمؤمنين ويتعلق بربه العظيم، فينشب لا يطلب إلا منه ولا يخشى إلا إياه سبحانه، فى حسن طاعة وأدب مع الوالدين والناس أجمعين.

فيتفهم الطفل بالتدريج التكيف والتوفيق بين حاجاته ودوافعه وبين ما يرضى ربه ولا يهضم حقوق غيره فيتسم بالسواء النفسى والتوافق الاجتماعى.

دافع التدين

دافع نفسي له أساس فطرى فى طبيعة تكوين الإنسان.

فالإنسان يشعر فى أعماق نفسه بدافع يدفعه إلى البحث والتفكير فى خالقه وخلق الكون وإلى عبادته والتوسل إليه والالتجاء إليه طالباً منه العون كلما اشتدت به مصائب الحياة وكروبها، وهو يجد فى حمايته ورعايته الأمن والطمأنينة.[1]

وتبين بعض آيات القرآن الكريم أن دافع التدين دافع فطرى:

---

(١) محمد عثمان نجاتى: القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ٤٥

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (الروم:٣٠)

ففى خلق الإنسان وفطرته وطبيعته استعداداً فطرياً على إدراك بديع مخلوقات الله والاستدلال بها على وجود الله وتوحيده.[١]

ولذا نجد فى نصيحة الولد لابن الجوزى (وأول ما ينبغى النظر فيه: معرفة الله تعالى بالدليل، ومعلوم أن من رأى السماء مرفوعة والأرض موضوعة وشاهد الأبنية المحكمة خصوصاً فى جسد نفسه، علم أنه لابد للصنعة من صانع وللمبنى من بان)[٢] والأطفال فى أمس الحاجة إلى تنمية الشعور الدينى من الفهم السليم والإدراك لمخلوقات الله وللكون من حوله، فلا شئ أقل من إجابة الوالدين على أسئلة الأطفال المتعلقة بالنواحى الدينية بما يتناسب مع مستويات نموهم.

ومن الخطأ أن نظن أن غرس العقيدة الإسلامية فى نفوس الناشئة يتم فقط بتلقينهم دروس الدين، إنما العقيدة إطار حياة يحيط بكل جانب من جوانب التربية من علم وعمل ما دام الاستعداد لها وما دامت أسسها موجودة بالفطرة لدى الطفل.

ولكن الطفل بحكم تفكيره الحسى لا يفهم من أمور الدين إلا ما كان واقعياً ومحسوساً يخاطب إدراكه الحسى، فهو لا يدرك المعنويات من خير وشر وفضيلة ورذيلة وذنب ومغفرة، فهو يفسر ما يسمع فى ضوء ما يعرف كما يفسر ما يعرف فى ضوء ما يحسه ويشعر به.[٣]

---

(١) تفسير القرطبى (٤ / ٢٩)، وتفسير الجلالين (٣٤٠، ٣٤١)

(٢) ابن الجوزى: لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، مرجع سابق (١٧)

(٣) عواطف إبراهيم محمد: الإحساس الدينى عند الأطفال، مرجع سابق (٥٤)

وعادة عندما تلمس الأم من وليدها القدرة على الهم والكلام تقص عليه قصص الأنبياء على أن الطفل يستمد قسطاً كبيراً من موقفه الدينى بطريق غير مباشر من تهديدات ربه بعذاب النار إذا عصى أمرها، ووعودها له بنعيم الجنة إن هو أطاع، ومن مشاهداته لصلوات الآباء والأهل والأصدقاء، ومن سماع لدعائهم ومن مظاهر الاحتفال بالأعياد ومن زياراته المتكررة لبيوت الله والمساجد مع والديه وأسرته.[١]

والطفل مذ أن يستيقظ عقله يريد أن يكشف عن سر وجود الكائنات من حوله وهو لا ينفك يسأل ويتقصى: من أين أتى الأطفال؟ هذا المولود الجديد من الذى جعل له عينين ولسانا وشفتين وأعضاء كأعضائنا؟ وهذه الجبال والبحار والنباتات والأزهار والأشجار من أوجدها؟ ويتساءل الطفل من الإنسان الأول من أوجده؟

إنه يطلب المعرفة بدافع توقه الشديد إليها، ومن الحوادث التى تسترعى فى انتباه الطفل حوادث الموت لذا لابد من تعليلها للطفل بقدرة فوق قدرة البشر وهى قدرة الله تبارك وتعالى. والحق أن إدراك هذه القدرة أول نقطة فى تفتح الاستعداد الدينى عند الطفل.[٢]

وفكرة الأطفال من رب العزة الله جل جلاله تختلف من طفل إلى آخر تبعاً لنوعية البيئة التى تربى فيها وتبعاً لأساليب التربية التى اتبعت معه لإيقاظ الإحساس الدينى فالأطفال يدركون إدراكاً مبهماً تلك القدرة الإلهية الضخمة التى لا سبيل إلى إدراكها بحواسهم، منهم وإن كانوا يصفون الله بصفات روحية فإن هذه الصفات لا يكون لها معنى فى أذهانهم، بل تكون مجرد ألفاظ استقوها من يعايشونهم فإيمان الطفل فى الخامسة فى عمره إيمان

---

(١) راجع مؤلفنا: التنشئة الإيمانية للطفل فى ظل المنهج الإسلامى

(٢) عواطف إبراهيم محمد: الإحساس الدينى عند الأطفال، مرجع سابق (٥٥)

وجدانى فيه نزعة إلى إقحام الله فى محيط عالمه اليومى فهو يسأل من هو الله؟ ومن يصنع الجبال والبحار؟

وبعض الأطفال أشد تنبهاً لوجود الله من غيرهم، حتى أنهم يخافون من الله يرى الله كل ما يأتون من أفعال والواقع إن إيمان الطفل الوجدانى بربه يقوى عن طريق السماع والمشاهدة لأن عالمه عالم المحسوسات فعندما يشهد ويسمع والديه وأقاربه وأهله يذكرون الله فى صلواتهم، فهو يقلدهم بالفعل، ويعتبر رمضان فى ذهن الأطفال مرتبط لديهم باللهو والفرح والسرور والعيد.

والواقع أن الدين يجد وسيلة إلى قلوب الأطفال عن طريق هذه المشاهدة أكثر ما يجده عن طريق الوعظ والإرشاد.[1]

أن أصل الدين هو حيناً الإدراك الفطرى فى الإنسان، وحيناً هو شعور الإنسان بتبعيته لقوة عليا – الخالق سبحانه)[2]

قال تعالى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (لأعراف:١٧٢).

وفى هذه الآية يبين الله تعالى أنه أخرج من صلب آدم وبنيه ذريتهم نسلاً بعد نسل على هيئة ذر، وذلك قبل خلقهم فى الدنيا وأشهدهم على أنفسهم قائلاً لهم: ألست بربكم فأجابوا بلى شهدنا بذلك.[3]

---

(١) عواطف إبراهيم محمد: الإحساس الدينى عند الأطفال، مرجع سابق، ٥٧: ٥٩ بتصرف

(٢) أبو النصر مبشر الطرازى الحسينى: الإسلام الدين الفطرى الأبدى (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م) ١/ ٢٤

(٣) تفسير ابن كثير (٢ / ٢٦٢) وتفسير الجلالين (١١٤)

ومن هذا يتبين أنه يوجد فى طبيعة تكوين الإنسان استعداد فطرى لمعرفة الله وتوحيده... وهذا الاستعداد الفطرى عرضة لأن تطمره الغفلة، ويغمره النسيان ويطويه اللاشعور فى أعماقه ويصبح الإنسان فى حاجة إلى ما يوقظ هذا الاستعداد الفطرى وينفض عنه غبار النسيان.. ويتم ذلك عن طريق تفاعل الإنسان مع الكون ونظرة إلى عجيب خلق الله فى نفسه وفى سائر مخلوقات الله وفى الكون بأسره ولعل الخطر سبيل ودافع للجوء إلى الله.[1]

(قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (الأنعام:٦٣)

(وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ) (الأنعام:٣٢) .

ومن ثم تتحقق الصحة النفسية للطفل من خلال تربية الطفل وإشباع دوافعه الطيبة والنبيلة وإذكاء روح الإيمان فيه.

وثمة علاقة كبيرة بين الدوافع والانفعالات أما الدوافع تكون عادة مصحوبة بحالة وجدانية انفعالية، فإشباع الدافع يكون مصحوباً بحالة وجدانية سارة، ثم إن الانفعال يقوم بتوجيه السلوك مثل الدافع.[2]

فانفعال الحب لله ورسوله يدفع إلى التقرب من الله ورسوله

والانفعال فى اللغة التأثر انبساطاً وانقباضاً[3]

قال تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران:٣١)

---

(١) محمد عثمان نجاتى: القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ٤٧

(٢) محمد عثمان نجاتى: القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ٦٤

(٣) المعجم الوسيط (٢ / ٦٩٤)

فالحب أحد الانفعالات السارة التى يسعد بها الإنسان فى حياته والآية الكريمة تحث على الحب الدائم الثابت الواعى المستقر ما دام مقصود الحب هو أسمى المقامات وحب الله تعالى لا ينعقد بكلمة تقال أو بانفعال يثار، ولا يكفى أن يكون هياماً بالوجدان، بل الحب الحقيقى لله رب العالمين إيمان ثابت يدعمه اليقين وتصديق بما أنزله على رسوله الكريم والالتزام التام بجميع أوامره ونواهيه فى رضًا وتسليم وعلى ذلك تكون المخالفات الشرعية خرقاً من العبد لميثاق هذا الحب[1].

أى صحة نفسية تلك التى تكون ثمرة لهذا الوعى والتبصر!!

لاشك أنها أسمى من أن توصف، بل هى تعاش

فحاجة الطفل فى المحبة والعطف والأمن والحرية يصحبها عند الإشباع أو الحرمان حالة نفسية أو نفس جسمية Psycho-somatic والتى نسميها الانفعال[2]

فالانفعال إذن هو الأثر النفسى الذى يحدثه إشباع حاجات الطفل أو حرماتها، ومن ثم يجب تهذيب الانفعالات السلبية، فكثير تلك العائلات والنفوس التى أساءت إلى أبنائها.

ومثل ذلك فى وصية النبى صلى الله عليه وسلم لمن طلب الوصية نقوله "لا تغضب"

وقال تعالى (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (آل عمران:١٧٤) .

---

(١) محمد السيد محمد: تربية المراهق فى الإسلام وعلم النفس، مرجع سابق، ٢٥٥، ٢٥٦

(٢) كمال دسوقى: النمو التربوى للطفل والمراهق، مرجع سابق، ١٥١

قال سبحانه (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ) (البقرة: ١٦٥)

وقال: (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاه) (الأحزاب: ٣٧)

وقال: (قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى) (طه:٦٨)

والصحة النفسية توجه الانفعالات عند الطفل فهو:

فى الحب: يحب الله ورسوله وسائر المؤمنين وبخاصة الوالدين.

وفى البغض: يكره الشيطان والكفار إلا من الله وبطشه وعذابه وجبروته.

وفى البهجة والسرور بنصر المؤمنين وعزة الدين

(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ) (آل عمران: ١٢٦)

وفى الغضب: لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله روى الإمام البخارى بسنده عن الزهرى عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها قال:

دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البيت قرام فيه صور، فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه وقالت: قال النبى صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور".

وفى حديث اللقطة سأل الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثقل عليه حتى سأله عن (فضالة الإبل؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه – أو احمر وجه)[1]

فالغضب هنا له وظيفته.

وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عنه، وأرشد إلى علاجه.

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى (١٠: ٥٢٠)

ومن ثم فالطفل لكى تتحقق الصحة النفسية فى حاجة إلى التربية الانفعالية التى تهذب وتوجه وتوظف انفعالاته وفقاً لنموه وعلى شرع الله ومنهجه، وأنعم بها من تربية! وحسنت من صحة نفسية!

واستقرار الطفل من الناحية الانفعالية يتجه به نحو تكامل الشخصية.

ولهذا فإن الخبرة الأولى التى يرتبط بها إشباع أو حرمان الحاجات العضوية أو النفسية فى الطفولة الأولى لها أكبر الأثر فى تحديد الشخصية إما إلى السواء أو الانحراف، وقد لا يستطيع الطفل إذا كبر تذكرها بيد أنها ذات أثر كبير فى نفسيته وشخصيته وسلوكه.[١]

ولكى تتحقق الصحة النفسية للطفل لابد من الوصول بالطفل إلى حالة من الثبات الانفعالى Emotional Stability تهيئ له الاستقرار فى سلوكه وتحقيق التوازن فى داخل نفسه بين الحاجات التى يتطلبها طريقة إشباعها المادية والاجتماعية، والطفل حتى يصل إلى هذا الثبات المنشود يمر بصورة غير ثابتة أو غير ناضجة من الاستجابات الانفعالية وهى التى يتعهدها المربون بالتقويم والتهذيب – خصوصاً فيما يتعلق بطريقة التعبير عن الانفعال أى المظهر الخارجى الذى يتخذه لإخراج أو تنفيس وتفريغ للشحنة الانفعالية والجهد النفسى.

كما يتعهد بمساعدة الطفل على ترقية نوع التنبيه الذى يثير الانفعال، بل وتغيير طبيعة الانفعال كما ضربنا لذلك مثلاً من قبل[٢].

فالصحة النفسية للطفل تتحقق وفى طريقها السليم المنشود بتدريب الطفل على التكيف الانفعالى السليم.

---

(١) كمال دسوقى: النمو التربوى للطفل والمراهق، مرجع سابق، ١٥٧

(٢) كمال دسوقى: النمو التربوى للطفل والمراهق، مرجع سابق ١٦٢

ولا يمارى أحد فى أن ذلك يسهم فى تربية وجدانية للطفل وإبراز لتكامل الشخصية وديناميتها فى النمو النفسى السوى.

فيشعر الطفل بالفرح وبالبهجة والسرور نتيجة التوافق السليم.

فهل نفقه ونحن نحفظ الطفل القرآن ونتلوه أمامه ونبكى أو نتباكى لقوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال:٢)

ولقوله (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (السجدة:١٦)

إنها الآيات التى تهز الوجدان هزاً وتزلزل النفس فتعى وتتأمل وتتدبر وتتفكر ثم تختار، فتنتقل إلى قوله تعالى

(قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (الأنعام:١٥)

(إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً) (الإنسان:١٠)

كل ذلك دليل الإيمان الصادق

وسبيل التوافق

وبه تتحقق الصحة النفسية، فالخوف لا يكون إلا من الله ثم تقوى نفس الطفل على مواجهة كافة مخاوفه وتبين ما وراءها.

ومن خاف من شئ أعد له العدة.

فالذى يخشى الموت فليتعلم كيف يكون الموت سهلاً ويسيراً وما بعده خير منه ولينقذ ذلك حتى يناله.

والذى يخاف من فوات الرزق فليقرأ كتاب الله وسنة حبيبه.

(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (الذاريات:٢٢)

ويقسم رب العزة على ذلك (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) (الذاريات:٢٣)

وفى نهاية المطاف

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (فصلت:٣٠)

ولذلك عجب الحبيب المصطفى من أمر المؤمن لأن أمره كله خير فى الضراء الصبر وفى السراء الشكر.

وهكذا يتربى الأطفال وعلى هذا ينشئون.

وحتى فى الشك والغضب يتربى عليها الأطفال، فالمؤمنون أشداء على الكفار رحماء وبينهم.

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) (الفتح: ٢٩)

وذلك على فقه وتبصر فهم قوم سبوا الله فأبغضهم يعنهم والله أعلم بطبيعتهم فهم:

(يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (البقرة:٩)

وهم أعداء للمؤمنين لقوله تعالى:

(هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (آل عمران:١١٩)

وفى المعجم الوسيط (٦٦٨/٢) (غاظه) غيظاً: أغضبه أشد الغضب ولا يكون الغضب فى حق المؤمنين ولذلك وجه الحبيب صلى الله عليه وسلم

بالوضوء لإطفاء نار الغضب التى هى من الشيطان، وتغيير الحال عند الغضب لتسكن النفس ويهدأ البال وينشرح الصدر وإذا كان هو ذلك الحال مع الحب والخوف والغضب فقس على ذلك سائر العواطف والانفعالات وربى الطفل على ما يرضى الله ورسوله فتهنأ فى الدنيا والآخرة.

الحسد

وهو تمنى زوال النعمة عن الغير

وخوف الطفل من أن يفقد بين أهله بعض امتيازاته كالمحبة والعطف وكونه محط الأنظار ومناط الاهتمام من الجميع فإذا به يتصور مولود جديداً يزاحمه هذه المحبة والعطف فينشأ لديه الحسد لهذا المولود والغيرة منه ونتيجة أيضاً للمقارنة بين الأولاد وتمييز بعضهم وعدم المساواة بينهم والإغضاء عن ولد محبوب يؤذى ويسئ والترصد بالعقاب لولد آخر فتصدر منه أدنى إساءة وكذلك من مسببات الحسد أن يكون من أسرة مترفة غنية ولكنه محروم يساء إليه إلى غير ذلك من الأسباب.

والعلاج فى هذا الأمر واضح حيث أنه لابد من إشعار الطفل بالمحبة وهذا ما كان الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يفعله ويأمر أصحابه به ويحضهم عليه وينبغى ألا يغرب عن البال أن الأخذ بالاحتياطات اللازمة للحيلولة دون اشتداد الحسد عند مقدم طفل جديد من أهم مما ينبغى الأخذ به.

هذه الاحتياطات يجب أن تبدأ قبل عدة أشهر من الولادة كتغيير سرير الطفل الأكبر أو إرساله إلى الروضة.. ولا بأس بالسماح للأخ الأكبر بالمساعدة فى شئون الطفل الجديد عند إلباسه أو تغسيله أو إطعامه.. ولا بأس كذلك بالسماح له بأن يلاعب أو يداعب أخاه الصغير ولكن مع شئ من المراقبة مخافة إيذائه، وعندما تحمل الأم الوليد لإرضاعه فيستحسن من الأب

أن يداعب أخاه الأكبر، أو يحادثه ويلاطفه ليشعره بالمحبة والعطف والاهتمام والمقصود على العموم إشعار الأخ الأكبر بأنه محبوب وأنه المراد وأنه محل العطف والعناية كأخيه الوليد سواء سواء.

ألا فلينهج المربون طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إشعار الطفل بالمحبة إن أرادوا تكوين شخصيات أطفالهم على الحب والتعاون والإيثار وتحريرهم من الحقد والأثرة والأنانية.[1]

وكذلك تحقيق العدل بين الأولاد (ساووا بين أولادكم في العطية)

وروى أنس أن رجلاً كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه فقال صلى الله عليه وسلم للرجل: (ألا سويت بينهما؟) وكذلك إزالة أسباب الحسد فإذا كان مجيء الوليد الجديد يشعره بفقدان المحبة والعطف فليسعى الوالدان في إشعاره بنقاء الود مدة الحياة وإذا كان رمي الأبوين له بالغباوة، والألفاظ القارعة.. يؤجج في صدره نيران الحقد والحسد.. فعلى الأبوين أن ينزها ألسنتهما عن التقريع المؤلم والكلمات الجارحة.

وإذا كان تفضيل أحد الأولاد عليه في معاملة أو عطاء.. يغيظه ويولد في نفسه الحسد.. فأنعم بالمساواة والعدل.

وأخيراً فهذه آفة نفسية يجب الحذر منها حتى تكتمل شخصية الأطفال، وينشأ الواحد منهم سوياً في ظلال التربية الصالحة.

ربما للحسد آفات نفسية واجتماعية حذر عليه الصلاة والسلام منه ونهى عنه فقال فيما روى أبو داود عن أبي هريرة مرفوعاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:

---

(١) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق(١ / ٢٠٧)

"إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"

وأخرج الطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا"

وأخرج كذلك "ليس منى ذو حسد"

وأخرج الديلمي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل"

الصبر: مادة مرة المذاق كالعلقم.(١)

ومن هنا نهيب بالآباء بالابتعاد عن الأسباب التي عرضناها لاجتناب أن ينشأ الأبناء على هذه الآفة النفسية والرذيلة الاجتماعية، وفيما سبق بعض أسباب العلاج وطرقه البسيطة الهامة.

وقد سبق أن ضربنا مثلاً للغيرة من قبل في قصة سيدنا يعقوب مع أولاده ومع سيدنا يوسف عليه السلام.

وكذلك الحال مع الحسد والحزن والندم وغير ذلك.

الغيرة: انفعال مكدر بغيض يشعر به الطفل عادة إذا شعر أن الشخص المحبوب يوجه انتباهه أو حبه إلى شخص آخر غيره ومن أنواعها الشائعات ما يحدث بين الأخوة إذا ما شعر أحدهم أن والديه أو أحدهما يحب أحد أخوته أكثر منه.(٢)

وتعتبر الغيرة حالة انفعالية تجمع بين حب التملك والشعور بالغضب لدى الفرد وشعور الغيرة مؤلم للغاية حيث يشعر الطفل بالغيظ من ميلاد طفل جديد أو من أصدقائه الذين حققوا طموحاتهم التي لم يستطع هو تحقيقها.

---

(١) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق (١ / ٢٥٨)

(٢) محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ٨٨

وقد يصاحبها ثورة وغضب وتخريب وتدمير وعناد وسب أو كبتها الفرد مع شعوره بالدونية والنقص والخجل وعدم الكلام.

ويظهر شعور الغيرة في الأربع سنوات الأولى عند الطفل ويكثر عند البنات عنه عند البنين.(١)

والغيرة هي أشياء بغضب موجه نحو أناس آخرين وهي استجابة طبيعية لفقدان حقيقي أو مفترض أو تهديد بفقد الحب وعادة ما يكون الموقف الذي يسبب الغيرة مثيراً اجتماعياً يتضمن أناساً وخاصته من يشعر الطفل بحب نحوهم، ويختلف الألم الناتج عن الغيرة وشدتها لدى الأطفال بدرجة كبيرة.

وتكون الغيرة مشحونة بالتوتر يفرغه الطفل إما (بالعدوان – النكوصي – الانسحاب)(٢)

وقد تبد الغيرة في محاولة الطفل الحصول على ما فقده بالتحايل، ومن هذا النوع أن يقوم الطفل أحياناً بتقبيل المولود وملاطفته حتى يحتفظ الأكبر بمركزه عند أمه. وقد يكون السلوك تعويضاً للشعور بالنقص وذلك بمحاولة الظهور بمختلف الأساليب، وكثيراً ما يكون للغيرة مظاهر جسمية.. ومظاهر الغيرة بدل من أن تتجه نحو المولود قد تتجه نحو أي شئ آخر من المنزل.(٣)

وثمة فارق بين الغيرة والحسد والتنافس.

حيث أن التنافس سلوك إيجابي مرغوب فيه يدفع صاحبه للتفوق وبذل المجهود لتحقيق طموحه ونجاحه.(٤)

---

(١) ناريمان محمد رفاعي: علم نفس النمو، مذكرات غير منشورة، كلية التربية بنها، ٢٥٧

(٢) سعدية محمد بهادر: في علم نفس النمو، مرجع سابق.

(٣) عبد العزيز القوصي: أسس الصحة النفسية، مرجع سابق، ٤٠٢

(٤) ناريمان محمد رفاعي: علم نفس النمو، مرجع سابق ، ٢٥٧

والبعض يفسره (أى التنافس) على أنه الشعور الغضبى الذى ينتج عندما يحبط المرء فى رغبته فى العمل ليكون أكثر امتيازاً وليكتسب المكان الأول. وكثيراً ما يشعر الفرد بالغيرة والمنافسة نحو نفس الشخص بالرغم من أنه فى بعض الأحيان يمكن الفصل بين هذين الانفعاليين.[1]

والحسد يكون بامتلاك الآخرين شيئا يصعب امتلاكه، بيد أن الغيرة تجمع بين حب التملك والشعور بالنقص وهى أكثر من ذلك وليست مجموع ذلك فقط.

كيف تنشأ الغيرة:

لعل أهم الأسباب (فقدان ما كان يحصل عليه أو جزء منه ليحصل عليه آخر)

حيث يلاحظ أن الطفل فى أول حياته تجاب له عادة كل طلباته ويستدعى في العادة انتباه الجميع، ويسلم بعد مدة قصيرة بأن كل شئ له وكل جهد له وكل انتباه له وفجأة قد ينحسر عنه كل ذلك أو بالتدريج كلما نما وقد تتجه هذه العناية إلى مولود آخر فيشعر بالقلق وفقدان الثقة فى نفسه ومن الآخرين ويشعر بالكراهية لبيئته والميل للانتقام أو الابتعاد عنها أو شعوره بالنزوع إلى سلوك يترتب عليه جلب العناية إليه مرة أخرى كالبكاء أو القبول اللاإرادى أو المرضى.[2]

وقد يشعر الطفل بالغيرة تجاه أحد الوالدين حيث تعلق الطفل بأمه يؤدى إلى أن يغار الطفل من أبيه الذى يحنو ويعطف على الأم أو إذا وجهت الأم إلى والده عناية فائقة وذلك لأن الطفل في سنواته الأولى نصب عين أمه

---

(١) سعدية محمد بهادر: فى علم نفس النمو، مرجع سابق، ٢٤٨.

(٢) عبد العزيز القوصى: أسس الصحة النفسية، مرجع سابق، ٤٠٤

ومحور حياتها ومصب حنانها ثم يلحظ ما يناله والده من حب وحنان الأم، فيغار.

كذلك عدم المساواة فى المعاملة تورث الغيرة كما يسبق أن وضحنا أيضاً شعور الطفل بالنقص وبالدونية والعجز والفشل فى تحقيق الطموحات كل ذلك يورث الغيرة لديه وقد تنشأ بسبب المقارنة والموازنة بينه وبين غيره.

وكذلك الغيرة عند الطفل الوحيد المدلل الأنانى الذى يأخذ وربما فى الغالب لا يعطى فمن مجموع انفعالاته مع الأطفال غيره تنشأ لديه الغيرة.[1]

وتحظى بعض الأسر بأن تعامل الابن معاملة تختلف اختلافاً تاماً عن معاملة البنت مما يخلق الغرور فى الأبناء الذى يثير حفيظة البنات وينمى لديهن غيرة يكننها وتظهر فى مستقبل حياته فى صورة كراهية للرجال عامة وعدم الثقة بهم... الخ

وكذلك إغداق الامتيازات على الطفل العليل فيغير الأصحاء.

ومدارس التحليل النفسى تعود بالغيرة إلا الاتجاهات الجنسية المثلية وهو رأى لا يوافق عليه الكثيرون من أصحاب المدرسة الحديثة.[2]

وللتقليل من الغيرة وعلاجها: يجب إعداد الطفل لولادة طفل آخر بإخباره عن قرب حضوره ووصفه ومساعدته على فهم طفولته هو ذاته وتأكيد أن حب والديه له مستمر وأنه محبوب دائماً وقبول كل طفل على حدة بذاته وتجنب إجراء المقارنات فيما بين الأطفال وتدريب الطفل على الأخذ والعطاء واحترام الآخرين من ضرورة المساواة والعدل فيما بين الأطفال ومعرفة الأرباب وراء الغيرة.[3]

---

(١) راجع بالتفصيل المرجع السابق ٤٠٧

(٢) عبد العزيز القوصى: أسس الصحة النفسية، مرجع سابق، ٤١٢

(٣) سعدية بهادر: فى علم نفس النمو، مرجع سابق. ٢٤٨ وناريمان رفاعى: علم نفس النمو، ٢٥٨

الخوف

- سواء كانت مخاوف الأطفال منطقية أو غير منطقية، فإن مصدرها يكمن فى خبرات الطفل ويعتبر الخوف حالة انفعالية داخلية طبيعية يشعر بها الطفل فى بعض المواقف التى تهدده/فيسلك سلوكاً يبعده عن مصادر التهديد.

فالخوف انفعال شائع بين الأطفال يأخذ أشكالاً متعددة تؤثر فى بناء الشخصية والخوف قد يأخذ من القطط والكلاب والصراصير والأماكن المرتفعة.. الخ

والخوف بصورة صريحة أو مقنعة يظهر فى مشكلات السلوك بمختلف أنواعها ويرى فرديدان الخوف أو القلق هو أساس جميع الحالات العصبية غير أن الخوف فى رأيه يرتبط بالمسائل والمواقف الجنسية وما يتعلق بها.[1]

ولكن الخوف أمر طبيعي لحماية الفرد وهو ما أوجده الله فى الفرد

. أو مرضى رحالة اضطراب تصيب الشخص فتؤثر سلباً على صحته النفسية شخصية يكون موضوعياً حتى يتدرب على الثقة بالنفس، ومن ثم فالخوف نسبى يعتمد على عمر الطفل ومثيرات الموقف فى بعض الأحيان.

فالبنسبة للعمر فى بعض الأحيان ولقلة الإدراك ينعدم الخوف لدى طفل فى الثانية من عمره إذا رأى عقرباً بل يظن أنه لعبه بحسن الإمساك بها..وهكذا ولكنها نادرة الحديث وقد يكون من مظاهر الخوف: الانكماش وعدن الجرأة، والتهتهة وغير ذلك من الخصال المعطلة عن النمو.

ويقسم فرويد أنواع المخاوف إلى

مخاوف موضوعية – مخاوف عامة غير محدودة

---

(١) عبد العزيز القوصى: أسس الصحة النفسية، مرجع سابق، ص٣١٥

في الأولى الخوف ترتبط بموضوع معين محدد كالخوف من الحيوان أو من الظلام أو الموت.

والثاني فلا يرتبط فيه الخوف بأى موضوع مخالة الخوف تكون هائمة عائمة لا تستقر على موضوع ما، وصاحب الحالة الأخيرة متشائم حزين يتوقع الشر والرعب وسواء الطالع ويسمى فرديد هذه الحالة باسم (القلق العصبى) (Anxiety Neurosis)

أما المخاوف الموضوعية فيقسمها فرديد إلى ثلاثة مجاميع بحسب ما يتوقعه الشخص العادى منها من خطر.

فالنوع الأول: يكون الخطر فيه بارزاً كالخوف من الثعابين أو النار.

الثانى: يكون فيه عنصر الخطر ولكن وقوع هذا الخطر يرجع للصدفة المحصنة كالخوف من السفر فى قطار أو باخرة أو الخوف من دخول زحام خشية المرض... الخ

النوع الثالث: ليس فيه عنصر الخطر إطلاقا كالخوف من الخنافس والصراصير والخوف من صعود الأماكن المرتفعة (Acrophobia) والخوف من السير فى مكان متسع كالميادين والحدائق (Agoraphobia) والخوف من الأماكن المقفلة (Claustrophobia) إلى غير ذلك.

يقسم آخرون المخاوف بحسب واقعيتها ومثيراتها إلى قسمين أحدهما: المخاوف الحسية أو الواقعية، وثانيهما المخاوف الوهمية أو الذاتية أو غير الحسية والمخاوف عند الأطفال.

حسية كالخوف من الحصان أو القردة الخ.

غير حسية كالخوف من الموت والعقارب وجهنم والغولة... الخ

فالطفل شأنه كغيره يخاف من الأمور الغريبة.[1]

أسباب الخوف

١- تعرض الطفل للمواقف ومثيرات غريبة ومنفردة تحدث ألماً نفسياً فيخاف منها وبتكرار هذه المواقف والمثيرات يثبت انفعال الخوف لدى الطفل ويستمر.
٢- ينبعث الخوف فى نفس الطفل من خلال تخويفه بأشياء كانت تبدو له طبيعية ولكنها ارتبطت فى ذهنه بمواقف مؤلمة مخيفة.
٣- تقليد الأطفال للكبار فى مخاوفهم.
٤- القصص المخيف والمبالغ فيه.
٥- العقاب المستمر للطفل يعوده على عدم الثقة وعرضة لظهور الخوف.
٦- المقارنات بين الأطفال وتوليد الخوف من الفشل... الخ [2]

ومن ثم فيجب

إذا كان على الطفل أن ينفصل عمن يرتبط بها لسبب أو آخر فيجب أن يكون هذا الانفصال تدريجياً.

يجب أن يحافظ على الطفل مع شخص يرتبط به فى فترة حدوث الأزمات كالمرض وغيره يجب تعليم الطفل الطرق الملائمة لمواجهة المواقف التى لا خبرة له بها.

يحسن إعداد الطفل لمواجهة المواقف التى قد تحدث بطريقة بناءة وتعتبر القصص واللعب التمثيلى والأحاديث مفيدة لهذا الغرض.

يرجى عدم إجبار الطفل في المواقف التي يخافها بل العمل على التقليل من التهديد ومساعدته على الفصل بين الأحلام المزعجة والواقع.[1]

---

(١) عبد العزيز القوصي: أسس الصحة النفسية، مرجع سابق، ٣١٨

(٢) ناريمان محمد رفاعي: علم نفس النمو، مرجع سابق، ٢٦٢.

من هذا تبين بساطة الخطة التى يمكن اتباعها للوقاية من الخوف وعلاجه وهى: توضيح الغريب وتقريبه من إدراك الطفل، ثم ربط مصادر الخوف بأمور سارة محببة، بدلاً من ربطها بأمور تثير الخوف فحسب، فإذا كان الطفل يخاف من القطط مثلاً فيصح أن نساعده على لمس القطة وتربيتها ويطعمها ويلاعبها يومًا بعد يوم ويتابع نموها... ونجعله بالتدريج يدرك خصائصها ويلعب معها بلطف الخ[٢]

ومن هنا نجنب الطفل المواقف التى تبعث مع الخوف حتى لا يألفها وعدم السخرية منه ولا تهدده بل تشجعه وتكون له قدوة فلا تتشاجر أمامه ولا تعقد مقارنات وتنمى مهاراته فيكتسب الطفل الحصانة والوقاية.

فالطفل فى السنة الأولى يبدى علامات الخوف عند حدوث ضجة مفاجئة أو سقوط سئ بشكل مفاجئ أو ما شابه ذلك.. ويخاف الطفل من الأشخاص الغرباء اعتباراً من الشهر السادس تقريباً وأما الطفل فى سنته الثالثة فإنه يخاف أشياء كثيرة من الحيوانات والسيارات وبوجه عام فإن الإناث أكثر إظهاراً للخوف من الذكور، كما تختلف شدته تبعاً بشدة تخيل الطفل، فكلما كان أكثر تخيلاً كان أكثر تخوفاً.[٣]

علاج الخوف عند الأطفال

ذكرنا أن قصص العفاريت والجن والأشباح والظلام ودلال الأم الزائد وقلقها المفرط وغير ذلك من أسباب المخاوف عند الأطفال، ولعلاج الخوف المرضى يجب مراعاة ما يلى:[٤]

(١) سعدية بهادر: فى علم نفس النمو، مرجع سابق، ٢٥٠

(٢) عبد العزيز القوصى: أسس الصحة النفسية، مرجع سابق، ٢٦٢

(٣) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد فى الإسلام، مرجع سابق (١ / ٢٣١) راجع المشكلات السلوكية عند الأطفال لبنية الغيرة (١٥٠)

(٤) المرجع السابق، ٢٣٢، ٢٣٣

١- تنشئة الولد منذ نعومة أظفاره على الإيمان بالله والعبادة له والتسليم لجنابه في كل ما ينوب ويردع ولا شك أن الولد يربى على هذه المعانى الإيمانية ويعود على هذه العبادات البدنية والروحية فإنه لا يخاف إذا ابتلى ولا يهلع إذا أصيب، ولذلك في القرآن.

(إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً إِلاَّ الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ) (المعارج:٢٣)

٢- إعطاؤه حرية التصرف وتحمل المسئولية وممارسة الأمور على قدر نموه ومراحل تطوره ليدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" رواه البخاري.

٣- عدم إخافة الولد مثلاً سيما عند البكاء - بالغول والضبع، والحرامى والجنى والعفريت - ليتحرر الولد من شبح الخوف وينشأ على الشجاعة والإقدام ويدخل في عموم الخيرية التى وجه إليها النبى صلى الله عليه وسلم - فيما رواه مسلم - "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"

٤- تمكين الطفل منذ أن يعقل بالخلطة العملية مع الآخرين.. ليشعر الطفل من قرارة وجدانه أنه محل عطف ومحبة واحترام مع كل من يجتمع بهم ويتعرف عليهم ليكون من عداد من عناهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله "المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس" رواه الحاكم والبيهقى ولا بأس أن نجعل الطفل أكثر تعرفاً للشئ الذى يخيفه بالمداعبة واللعب.[1]

٥- تلقين الأطفال مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواقف السلف البطولية وتأديبهم على التخلق بأخلاق العظماء من القواد والفاتحين والصحابة والتابعين قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه.

---

(١) المشكلات السلوكية عند الأطفال لنبيه الغيرة (١٥٢)

"كنا نعلم أولادنا مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلمهم السورة من القرآن"

وما ذلك إلا لتربية الأولاد على الشجاعة والإقدام.

وأمثلة للتحرر من ربقة الخوف وإغلاله والتحلى بالشجاعة:

أخرج ابن أبى شيبة عن الشعبى: إن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أحد السيف فلم يطق حمله، فشدته على ساعده بسير مضفور، ثم أتت به النبى صلى الله عليه وسلم، وقالت: يا رسول الله هذا بنى يقاتل عنك، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: أى بنى، احمل هاهنا، (أى اهجم هاهنا) فأصابته جراحة فصرع، فأتى به النبى صلى الله عليه وسلم: أى بنى، لعلك جزعت؟! قال الولد: لا يا رسول الله!![1]

وأخرج ابن سعد فى طبقاته والبزار وابن الأثير فى الإصابة عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: رأيت أخِى عمير بن أبى وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يتوارى، فقلت: مالك يا أخى؟ قال: إنى أخاف أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيردنى، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة قال، فعرض على رسول الله صلى عليه وسلم فرده لصغيره فبكى فأجازه عليه الصلاة والسلام فكان سعد رضى الله عنه يقول: فكنت اعقد حمائل سيفه فى صغره، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة رضى الله عنه وأرضاه.[2]

وأخرج الشيخان عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال: إنى لواقف يوم بدر فى الصف، فنظرت عن يمينى وشمالى فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديث أسنانهما، فغمزنى أحدهما فقال: يا عماه!! أتعرف أبا

(١) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد فى الإسلام، مرجع سابق، ٢٣٤

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة، وراجع مؤلفنا عن التنشئة الإيمانية للطفل.

جهل؟ فقلت نعم، وما حاجتك إليه؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذى نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده (أى شخصي شخصه) حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزنى وقال لى مثلها، فلم البث أن نظرت إلى أبى جهل وهو يجول فى الناس.

فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذى تسألانى عنه. فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه؟ ثم انصرفا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال: أيكما قتله؟ قال كل منهما: أنا قتلته، قال: هل مسحتما سيفيكما؟ قالا: لا

قال: فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فى السيفين فقال: كلاكما قتله وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن جموح رضى الله عنهما.

ضعف الثقة بالنفس والشعور بالنقص

يرتبط بموضوع الخوف ارتباطاً شديداً صفة كثيرة الشيوع وهى ضعف الروح للاستقلالية فى الأفراد.

ويكون هذا دالا فى الغالب على فقد الأمن أو وجود الخوف.

ومن مظاهر هذا الضعف: التردد وانعقاد اللسان والتهتهة واللجلجة والانكماش والخجل وعدم القدرة على التفكير المستقل وعدم الجرأة وتوقع الشر وزيادة الخوف وشدة الحرص.

هذه الصفات يجمعها كلها ضعف الثقة بالنفس أو الشعور بالنقص أو ما يسمى بالجبن.[1]

وهذه الخصلة هدامة للشخصية مفككة لها ولرقيها وهى تكون عادة فى السنوات الأولى من حياة الطفل ويغرسها فى نفسه الوالدان وظاهرة الشعور

(١) عبد العزيز القوصي: أسس الصحة النفسية، مرجع سابق، ٣٢٧.

بالنقص من أخطر الظواهر النفسية فى تعقيد الولد وانحرافه وتحوله إلى حياة الرذيلة والشقاء والإجرام.[1]

والعوامل التي تسبب ظاهرة الشعور بالنقص في حياة الولد هى كما يأتى:

١- التحقير والإهانة.
٢- المفاضلة بين الأولاد.
٣- الدلال المفرط.
٤- اليتم.
٥- العاهات الجسدية.
٦- الفقر.[2]

ويلاحظ كذلك أن مجموع الظروف المحيطة بالأطفال تجعلهم عادة يشعرون بشئ من النقص.[3]

فالطفل بطبيعة طفولته نظراً لصغر جسمه ولضعفه ولاعتماده على والديه ونظرا لقصور إدراكه يشعر بأن أمه وأباه بنوع خاص مخلوقان عظيمان.

ولذا نلاحظ أن نفس الطفل تشتاق للكبر وتتعطش للنمو وكسب القوة، فهو يقلد أباه وأمه فى كل شئ تقريباً. هذا بالنسبة للطفل كامل البنية.

ناهيك عن الطفل المعاق كالأعرج أو النحيف أو الأحول أو الأصم أو الأبكم أو صاحب العاهة. فكيف يكون حاله.

---

(١) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد فى الإسلام، مرجع سابق، (٢٣٦/١)
(٢) المرجع السابق، ٢٣٦
(٣) عبد العزيز القوصى: مرجع سابق، ٣٢٩

بل يجب فى هذه الحالات أن يكون موقف الكبار مع الصغار موقفاً له خصوصية فهو عادى ورغم ذلك له ما يتميز به من خصوصية فلا تنبغى الموازنة أو السخرية أو العطف الزائد فذلك من شأنه تركيز انتباه الطفل على عاهته.

ومن أحسن ما يقوى فى الطفل ثقته بنفسه نجاحه وشعوره بالنجاح فهذا هو أحسن دافع له للنمو النفسى السليم واكتمال نضج شخصيته.

ومما يثبط همة الطفل أن نحط من شأنه بالتحقير والإهانة فإذا كذب مرة ناديناه بالكذاب، وإذا ما أخذ من جيب أبيه قلماً ناديناه بالسارق وإذا لم يجب ناديناه بالكسول – الخ أو ناديناه بألفاظ قبيحة أمام زملائه وأصدقائه، فلاشك أن ذلك يورثه احتقار ذاته وأنه من سقط المتاع لا قيمة له، فلا يؤبه بشأنه ولا اعتبار ولا قيمة. فتكون الخباية الكبرى فى انحرافه، ناهيك عن كون القدوة الصالحة قد ذهبت سدى وأدراج الرياح، فلغة السب والشتائم وأخلاق المنحرفين لا مكان لها فى مجتمع المسلمين وذوى الخلق والدين.

روى مسلم فى صحيحه عن معاوية بن الحكم السلمى رضى الله عنه قال: بينا أنا أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم، فقلت له: يرحمك الله، فرمانى القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه!! ما شأنكم تنظرون إلى؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتوننى سكت، فلما انتهى من صلاته عليه الصلاة والسلام دعانى فبأبى هو وأمى.

من رأيت معلماً مثله ولا بعده أحسن تعليماً منه فوالله ما قهرنى ولا ضربنى، ولا شتمنى.. لكن قال: أن هذه الصلاة لا يصلح فيها شئ من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن. والولد إذا أخطأ يحتاج إلى التنبيه برفق ولين فالرفق لا يكون فى شئ إلا زانه وما نزع من شئ إلا شانه

والإصلاح بالحسنى بادى الأمر وتقويم الإعوجاج هو سبيل المصطفى عليه الصلاة والسلام(١).

وهذا بعض من منهج الإسلام الذى ينهى عن كل ما يمس الكرامة الإنسانية ويحطم الشخصية.

كذلك من أسباب ضعف الثقة فى النفس الرعاية الزائدة وصنع كل شئ للطفل والإفراط فى تدليله وعدم ترك الفرصة له للاستقلالية أو عمل شئ مفيد، فبعض الآباء لا يترك ولده يطعم نفسه أو يلبس ملابسه وبعض الأمهات يذهبن فى ذلك إلى سن بعيد، فإلى سن السابعة أو الثامنة يلبسن أطفالهن الملابس، فهى تطعم وتلبس وحتى عند السؤال من الاسم ترد هى والأنكى من ذلك أنها تمدح البنت بجميل الصفات وتقبح الولد بسئ الصفات فكانت النتيجة ليست ضعفاً فى الثقة ولا الشعور بالنقص بل إعوجاج وانحراف.(٢)

كل هذه الأسباب تورث فى الطفل الخجل والخنوع والميوعة والتخلف عن الأقران وضعف الثقة بالنفس.

ومن ثم يجب ترك الفرصة للطفل للعمل باستقلالية وحرية والاعتماد على الذات فى إطار من التوجيه والضبط مع الرعاية والحنان.

ونعم العلاج لذلك الذى يبدأ من الوالدين بتعميق عقيدة القضاء والقدر فى نفسيهما والتدرج فى تأديب الولد من النصح حتى الزجر مروراً بالتوجيه والتلطف وتربية الولد منذ نعومة أظفاره على الثقة بالنفس وترك التنعم وتحمل المسئولية.

---

(١) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد فى الإسلام، مرجع سابق (١ / ٢٤٠)
(٢) عبد العزيز القوصى: أسس الصحة النفسية، مرجع سابق، ٣٢٣ بتصرف

ويتحقق ذلك من خلال التأسى بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو صغير إلى أن ترعرع شاباً إلى أن بعثه الله نبياً لأن الله سبحانه أدبه فأحسن تأديبه وشمله برعايته وصنعه على عينه.

فقد كان صلى الله عليه وسلم فى صغره راعياً للأغنام.

وكان صلى الله عليه وسلم يلعب فى الغلمان

روى ابن كثير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لقد رأيتنى فى غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان، كلنا قد تعرى وأخذ إزاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإنى لأقبل معهم كذلك وأدبر إذا لكمنى لا كم – ما أراه – لكم وجيعة ثم قال: شد عليك إزارك؟ قال:

فأخذته فشددته على، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى على من بين أصحابى.[1]

وكما روى البخارى فى نفس المعنى حديثاً دليلاً على عصمته صلى الله عليه وسلم.

---

(١) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد فى الإسلام، مرجع سابق (١/ ٢٤٣)

الفصل الرابع

الأمن النفسى للطفل

- التربية الأسرية والرعاية الوالدية
- فى النمو النفسى للطفل وأساليب المعاملة الوالدية.
- التربية المدرسية والنمو النفسى للطفل.
- أثر المدرسة فى تكوين شخصية الطفل.
- وسائط التربية وتكوين شخصية الطفل.
- المساجد – الإعلام – الرفاق – الأندية – الخ.

الأمن النفسى للطفل

تبين لنا مما سبق أن الطفل فى أمس الحاجة إلى إشباع حاجاته العقلانية حتى يتمتع بنمو نفسى سوى.

ومن أهم هذه الحاجات: الحاجة إلى الاطمئنان والأمان خلال تدريبه على العادات السلوكية والاجتماعية، يحتاج إلى أن يكون مقبولاً كفرد له استقلاليته وأن ينمو فى حرية طبقاً لما تقتضيه طبيعته، يحتاج إلى الاهتمام والحنان الشخصى من الكبار وإلى احترام سلطة الكبار كالأب والأم وغيرهما ويحتاج إلى حنان زائد وخاصة عندما يصل إلى سماء الأسرة مولود جديد بيد أنه يجب وقاية الطفل من الشعور بالحرمان وقد أسلفنا خطر ذلك على نفسية الطفل.

ولا يمارى أحد أن الطفل يحتاج إلى التربية الرشيدة التى تتبع المنهج القرآنى والنبوى ففيه الخير والفلاح والغناء عن كل مناهج البشر: كما تبين لنا فيما سبق، كل ذلك فى ضوء اهتمام ودفئ وحنان الوالدين كما حث الإسلام على أن حب الأطفال ورعايتهم والقيام على شئونهم من العبادات المقربة إلى الله تعالى.

ولكى يتقدم إيجابيا عند إحساسه بالأمان المبنى على الإحساس بالحب من الأبوين وغيرهم، فهو يضار عند المبالغة في حبه أو حرمانه منها.

ولا يغيب عن أذهان الوالدين أن الولد نعمة من الرحمن وأمانة يتحملانها ومسئولان عنها، وأن الأطفال إنما هم سبيل إلى رضا الرحمن أو سخطه ومن ثم فتربية الأطفال مسئولية ألقى الله تبعاتها على الوالدين بادئ الأمر ومن يحيا الطفل كنفهم أى المجتمع ثانياً، تلك التربية التى تقوم على طاعة الله تعالى والارتباط والتعلق به لأنه الحق.

افعلوا ما شئتم ولكن على أن تربطوا الأولاد بربهم فيعتصموا بحبله المتين.

اصنعوا ما أردتم على أن يدرك الطفل الإله الحق المعبود فيتجه نحوه بمشاعر صادقة وسلوكيات ناضجة، وكل الناس فى خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتوصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

وما أحوجنا إلى أن نعيد غراس الإيمان من جديد فى نفوس الأبناء، فالإيمان أقوى سبل الصحة النفسية للأطفال وللكبار.

(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (الحشر: ١٠).

بالحنان بالتشجيع بالمكافأة بالود والحب، بالتوجيه، بالقدوة.. بكل الوسائل الحسنة، يحسن اتباع كافة الطرق كى ينشأ الطفل مؤمنًا بربه، عزيزًا فى نفسه، ذليلاً للمؤمنين، شديدًا على الكافرين، لا يخشى غير رب العالمين، صادقًا، جريئًا فى الحق، مطيعًا بارًا بوالديه، رحيمًا شفيقًا بإخوته معوانًا نصوحًا، متأملاً ومتدبرًا وخاشعًا ومتبتلاً وتائبًا منيبًا أوابًا ذاكرًا مسبحًا ومستغفرًا، يحب الخير للمؤمنين، عالمًا بالقرآن وسنة خير الأنام، متفقهًا، مستبصرًا بالحلال والحرام، مستمسكًا بالإسلام مؤمنًا القلب بالإيمان، يكبح جماح نفسه، قويًا ومذلاً للنفس والشيطان عالى الهمة، يطمع فى الفردوس وأعلى الجنان، يبذل النفس والمال وما يملك للإسلام. تلك بعض سمات أطفال المسلمين.

من سن الولادة حتى الوفاة. من المهد حتى اللحد.

فليعلمها الآباء، ولينشر بها الأبناء وتلك لعمرى خصال فطرة وسمات طبيعة.

والذى يعلم السر وأخفى جل جلاله أعلم بمن خلق، قد أرشد ونبه ووضح والمرء حسيب نفسه.

فمن أراد النمو الطبيعى لأطفاله وأن يتمتعوا بالصحة النفسية فعليه بالقرآن.

ومن أراد شخصية سوية ونفسًا ذكية فعليه بالقرآن.

ومن أراد ولداً صالحاً وطفلا ناجحاً فيتأس بالمصطفى وآله وصحبه وذريته فهم كانوا تجسيدًا حيًّا للقرآن.

فعليكم بالقرآن كلام الرحمن.

كيف بكم تعلمون أنكم غداً موقفون ومن ثم مسئولون، فكيف بكم إذ ذاك؟ فمن أراد الخير والهدى والمثوبة فعليه بالقرآن.

ومن يرد الخير كله فى الدنيا والآخرة، له ولولده وزوجه فعليه بالقرآن كلام الرحمن وسنة النبى العدنان.

فمن اتبع الإسلام بمصدريه نال الفردوس الأعلى نعمة أخرى وفضلاً والمولود يولد على الفطرة، وقد خلق الله الإنسان ولديه استعداد فطرى للخير والشر. فهو يولد مستعداً بطبيعته للخير فيسعد، ومستعداً للاتجاه إلى الشر فيشقى وإن البيئة هى التى تؤثر فيه فتجعله يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً.

قال تعالى (**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**) (الإنسان:٣) أى أنا هديناه طريق الخير ليسلكه، وطريق الشر ليجتنبه، وبعثنا إليه الرسل لإرشاده إلى الطريقتين، فهو شاكر مؤمن أو كفور غير مؤمن.

ولقد أرسل الله الأنبياء والرسل لهداية الناس وإرشادهم. قال تعالى (**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) (النحل:٩٧)

والمعنى أن من عمل عملاً صالحاً واتبع الشريعة الإسلامية وهو مؤمن بها عن عقيدة – أحييناه حياة طيبة فى الآخرة بالجنة أو فى الدنيا بالرضا والقناعة وجزيناه على أعماله أحسن جزاء.

والتدين: ميل فطرى فى الإنسان.

: ميل الإنسان بطبيعته إلى الاعتقاد بوجود قوة فوق القوى الطبيعة مسيطرة عليها وعلى القوى البشرية، وأن هذه النزعة ترمى إلى قيادة السلوك الإنسانى وتنظيمه ومهما اختلفت عقائد المتدينين فإن نزعة التدين قديمة.

والنزعة: ميل فطرى فى الإنسان، غير مصحوب بوجدان. والأطفال أشد قبولاً للعقائد الدينية من الرجال، لأن عندهم استعداداً طبيعياً للتصديق، وسرعة التأثر بالإيحاء والاستهواء.[1]

ومن ثم يجب تعليم الأطفال رويدا مبادئ الدين.

حب الله تعالى ورسوله وطاعتهما واتباع منهجهما.

والإنسان يشعر فى أعماق نفسه بدافع يدفعه إلى البحث والتفكير فى خالقه وخالق الكون وإلى عبادته والتوسل إليه والالتجاء إليه طالباً منه العون كلما اشتدت به مصائب الحياة وكروبها وهو يجد فى حمايته ورعايته الأمن والطمأنينة (**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**) (الروم: ٣٠).[2]

ففى داخل الأطفال وفى طبيعة تكوينهم استعداداً فطرياً لمعرفة الله وتوحيده فالاعتراف بربوبيه الله متأصل فى فطرته وموجود منذ الأزل فى أعماق روحه. قال تعالى:

---

(١) محمد عطية الإبراشى: عظمة الإسلام، ط [مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢ م] (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٢ م). ٢٣.

(٢) محمد عثمان نجاتى: القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ٤٥، ٤٦.

(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (يونس:٢٢). والإيمان شعور نفسى يشعر به الإنسان نحو من خلقه وخلق هذا العالم، ويملأ نفسه وقلبه وهو العقيدة القوية الراسخة فى القلب.[١]

ومن ثم يجب تربية الأولاد على:

الإيمان بالله ملائكته وكتبه، ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وعلى الأمانة لقوله صلى الله عليه وسلم:

"الإيمان أمانة، ولا دين لمن لا أمانة له"

ويتطلب الإيمان من الطفل أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولا يؤذ جاره وأن يقول خيراً أو ليصمت، وليس بمؤمن من شبع وجاره جائع.

والطفل يتربى على أن يعيش لرسالة كبيرة ويعمل لهدف رفيع، ويحيا فى ظل مثل عليا، يعيش لها ويموت عليها هى: القربى إلى الله والتخلق بأخلاقه والسعى فى مرضاته وفى سبيل مثله يكبح جماح نفسه ويقمع طغيان هداه ويضغط على غرائزه وشهواته، احتساباً لله وإيثاراً لما عنده، وابتغاء مرضاته، وإيمانا بحسن الثواب لديه.. وهذه هى صفات المؤمن التقى الذى آثر ما عند الله على شهوات الحياة: خشية من الله وحرصًا على رضاه ومغفرته وصبر وصدق وقنوت وإنفاق بلا ادعاء ولا غرور، بل شعور بالتقصير، يجعله يستغفر الله على كل حال. إن المثل الأعلى للمؤمن أن يقترب من الله فى علاه، ويخلص على مثوبته ورضاه، وهذا يجعل حياته كلها موصولة الأسباب بالله يرجو الله والدار الآخرة.[٢]

---

(١) محمد عطية الإبراشى: عظمة الإسلام، مرجع سابق (١٢٣/١).

(٢) يوسف القرضاوى: الإيمان والحياة، ط١٢ (القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠١م) ٢٠٣.

والإيمان له أثره المتواصل فى كافة مراحل النمو لدى الإنسان. بيد أنه فى مرحلة الطفولة التى هى مرحلة الغرس له أثره الفعال المثمر. حيث تكوين الشخصية وصقلها وحيث تلعب الانفعالات دوراً هاماً فى نفسية الطفل.

ومن الأهمية بمكان أن تجرى الدراسات والبحوث التى تكشف عن الآثار التى يتركها قبول الدين أو نبذه على الصحة النفسية للطفل وثباته الانفعالى، بعبارة أخرى هل يضيف الدين إلى التكيف أو إلى سوء التكيف النفسى، هل يهم الدين فى تحقيق الصحة النفسية – الثبات الانفعالى أم يؤدى إلى مزيد من الشعور بالذنب وإلى تنمية ضمير حاد وخاز يؤنب صاحبه ويلومه على كل كبيرة وصغيرة؟[1]

الآباء والإخلاص فى تربية الأبناء

فالإخلاص فى النية وفى كل عمل يقوم به المسلم من أخص خصائصه التى حثه الإسلام عليها. فالإخلاص فى القول والعمل هو من أسس الإيمان ومقتضيات الإسلام، لا يقبل الله العمل إلا به قال تعالى:

(وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) (البينة: ٥).

وقال عز من قائل:

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف: ١١٠).

وقال صلوات الله وسلامه عليه، فيما رواه أبو داود والنسائى: "أن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتغى به وجهه".

---

(١) عبد الرحمن عيسوى: النمو الروحى والخلقى مع دراسة تجريبية مقارنة، (الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م) ١٩١.

ولقد أقام الإسلام قواعد التربية الفاضلة فى نفوس الأفراد صغاراً وكباراً رجالاً ونساءً، شيباً وشباباً – على أصول نفسية نبيلة ثابتة، وقواعد تربوية باقية، لا يتم تكوين الشخصية الإسلامية إلا بها، ولا تتكامل إلا بتحقيقها وهى فى الوقت نفسه قيم إنسانية خالدة.(١)

ولكى تتم هذه القيم وتغرس فى نفوس الأطفال لابد من الإخلاص. والطفل الصغير العادى يعيش عادة فى جو كله أمن واطمئنان، فحاجات الطفل كلها مشبعة ورغباته مجابة، فإذا صرخ فإن الأم تهرع إليه لترضعه أو لتغير له الملابس أو توفر له الدفء فى حال البرودة إلى غير ذلك مما يحتاج إليه فكان فى نفسه شعور بالاطمئنان إلى من حوله والثقة بهم. فهو لا يعرف غير السعادة والرضا والطمأنينة ومع النمو يحدث ما لم يكن يألفه من قبل حيث تبدأ عملية التنشئة الاجتماعية والتوجيهات الوالدية ومعرفة الصواب والخطأ والحلال والحرام وما يجوز وما لا يجوز وكيفية التكيف النفسى والتوافق السليم، فإذا فعل ما لا يرون الكبار زجروه وربما إذا صاح ضربوه، فلربما لهذا التغير المقصود منه التوجيه والتأديب والتربية يكون له أثر إيجابى أو سلبى على نفسية الطفل بوعى من الوالدين أو بغير وعى فالمؤكد أن لذلك بصمة واضحة على شخصية الطفل.

ومن ثم نحن نركز على ضرورة الإخلاص من الوالدين فى تربية طفلهم ينتج هذا عن فهم المسئولية الإلهية والتكيف الربانى وعظم الثواب لمن أحسن التربية والفوز بخير الدنيا والآخرة.. الخ.

فإذا كان الجو المنزلى – مفعم بحب الوالدين المضبوط –، مليئاً بالمحبة والعطف والحق والهدوء والثبات يكون الطفل فى الغالب مطمئناً على نفسه، ويلاحظ أن شعور الطفل بقوته وثقته بنفسه وظهوره بمظهر الاستقرار

---

(١) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد فى الإسلام، مرجع سابق (١/٢٦٦).

والثبات يعكس صورة منزل تسوده العلاقات الطيبة،وأما الاضطراب المنزلي والمشاجرات والمنازعات بين الآباء فإنها من أقوى العوامل التي تؤدى إلى فقدان ثقة الطفل بنفسه، نتيجة لفقدانه اطمئنانه إلى الجو المنزلي. (١)

ويلاحظ أن ما يصدر عن الآباء من مظاهر الحب والافتخار والخوف والغضب والنقد والموازنة والتشجيع والتثبيط وغير ذلك يمكن أن تكون كلها مظاهر طبيعية إذا بدت بدرجات معقولة.(٢)

لكن الناس بشر وفي زحمة الحياة وفي غمرة مشاكلها وأعبائها يسلك الناس على هدى ما خبروه في آبائهم وأجدادهم كما يعكسون شخصية هؤلاء التي انطبعت في نفوسهم منذ كانوا صغارا كأبنائهم الآن. لكن أهم من كيفية تشكيل الأفراد لسلوكهم على شاكلة سلوك آبائهم – مما أجريت عليه الدراسات العديدة للتشابه بين الخلف والسلف في تسليم الدور الوالدي وللتأثير الذي لطفولة المرء الخاصة واتجاهاته المبكرة نحو والديه في أدائه هو لدور الوالد – الأثر الذي يزاوله الأبوان على شخصيته وتوافق بنائهما فالذي يحدد نوعية الكبار، وبالتالي نوع الوالدية الذي سيكون عليه كل منهما. متغيرات والدية ثلاثة: هي: شخصية الوالد، واتجاهاته وسلوكه. (٣)

فالوالد التقي يظهر أثر ذلك في سلوكه وعلى شخصيته وفي اتجاهاته.

والتقوى هي نتيجة حتمية وثمرة طبيعية للشعور الإيماني العميق الذي يتصل بمراقبة الله عز وجل والخشية منه والخوف من غضبه وعقابه والطمع في عفوه وثوابه.

---

(١) عبد العزيز القوصي: أسس الصحة النفسية، مرجع سابق ٣٣٥.
(٢) المرجع السابق، (٣٣٦).
(٣) كمال دسوقي: النمو التربوي للطفل والمراهق، مرجع سابق، ٣٣٨.

ومن هنا كان اهتمام القرآن الكريم والصحابة الكرام والسلف الصالح بالتقوى والتحقق بها والاجتهاد لها والسؤال عنها.[١]

فقد ورد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل أبى ابن كعب عن التقوى، فقال له: "أما سلكت طريقا ذا شوك، قال: بلى! قال: فما عملت؟ قال: شمرت واجتهدت، قال: فذلك التقوى".

(فذلك التقوى — حساسية فى الضمير، وشفافية فى الشعور، وخشية مستمرة، وحذر دائم، وتوقٍّ لأشواك الطريق والمطامع والمطامح والمخاوف والهواجس وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك رجاء، والخوف الكاذب ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً، وعشرات غيرهما من الأشواك).[٢]

نعود فنقول إن الصحة النفسية للطفل تكون من أب تقى وولد تقى. روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قيل يا رسول: من أكرم الناس؟ قال " أتقاهم".

وروى مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال "إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون؟ فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء ".

وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: تقوى الله وحسن الخلق ".

وروى أحمد والحاكم والترمذى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن ".

---

(٢) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد فى الإسلام، مرجع سابق (١/٢٦٦).
(٢) سيد قطب: فى ظلال القرآن الكريم (١/٤٠).

وروى الطبرانى عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يبروكم ".

هذا غيض من فيض النبوة فيه هداية للآباء وحسن تربية للأبناء تكفل لكلاهما صحة نفسية إسلامية تدوم ولا تزول.

فهى تكفل للطفل القدوة الطيبة والتربية الصائبة، والشخصية الإيجابية والطمأنينة القلبية فهي توافق نفسي وتكيف اجتماعى وتنشئة إيمانية وسمات أخلاقية فهذا هو الأب المسئول الأول عن تربية الطفل على أسس الإيمان ومعالم الإسلام. وهذا هو الطفل فى شرع الإسلام له حقوقه التى تكفل له الصحة النفسية.

ويضدها تتميز الأشياء فما بالكم بالأب الذى افتقد التقوى؟

كيف هو من القدوة والأسوة المحمدية؟

وكيف هو بالنسبة لولده؟ وكيف أثره فيه؟

واعتماد الطفل على والديه كبير جداً فى السنوات الأولى فحياة الطفل فى هذه السن حياة سعيدة محفوفة بالأمن والطمأنينة والشعور بالأمن فى هذه السن هو بدء الثقة بالنفس ويمكننا أن ننظر إلى نمو الطفل على أنه سلسلة من مراتب استقلالية تتحقق كل حلقة منها باتساع الدائرة التى يعيشها ومن ثم فالقدوة الوالدية وأساليب معاملتهما تلعب دوراً هاماً فى تشكيل شخصية الطفل ونفسيته.[١]

وشخصية الوالد تؤثر فى نمو شخصية الطفل، والأبناء ويكسبون سلامة شخصياتهم من شخصية والديهم. فكما تنشأ المشابهات بين شخصية الآباء

(١) عبد العزيز القوصى: أسس الصحة النفسية، مرجع سابق، ١٦٣.

وشخصية الأبناء في طبيعة اضطرابات الشخصية، لنا أن نتوقع أنها تنشأ أيضا في طبيعة صحتها وسوائها.(١)

وكل أسرة أو كل بيت له جو خاص يسوده أولاً شخصية معينة تحكم العلاقات بين أفراده وتؤثر طبيعة هذا الجو أو هذه الشخصية وما تتصف به من دفء وحنان أو من قسوة وكراهية ومن ديمقراطية أو تسلطية أو تدليل على التفاعل بين الأبوين والطفل.(٢)

فالحماية الوالدية الزائدة قوامها فرط الاتصال المادى بين الوالد والصغير استطالة رعاية طفولته، منع نمو اعتاده أو تعويله على نفسه ثم فرط تحكم الوالد أو رقابية.. ومن أخطر نتائج روح المبالغة في الحماية إنها تنتمى الاعتمادية الزائدة في الصغير.(٣)

وثمة بيوت بها يشعر الطفل بأن الوالدين غير راغبين فيه، فما بالنا بنفسية وتوتر وقلق هذا الطفل ومن ثم سبل توافق مختلفة سواء إيجابية أو سلبية. بينما شعور الطفل بالتقبل الوالدى ورعايتهم له ينمى علاقة انفعالية حادة معه. وقد سبق عرض صور تعبير الوالدين عن هذا التطفل الوالدى. ولذلك تلعب أساليب واتجاهات المعاملة الوالدية دوراً هاماً وأساسياً في تشكيل شخصية ونمو الطفل حيث تعبر الأساليب والطرق التي يتبعها الوالدان في معاملة الطفل وتنشئتة الاجتماعية من أهم العوامل الأسرية الحاكمة للتكوين النفسي للطفل وتوافقه وصحته النفسية، وتباين هذه الأساليب من حيث نوعيتها وآثارها في تنشئته الأبناء فمنها أساليب سوية مجندة ومرغوبة كالتسامح والديمقراطية والاتساق والاهتمام والتقبل اللين والرحمة وأساليب أخرى لا سوية من أمثال: التسلط والتشدد والتذبذب والتدليل والحماية الزائدة، والتفرقة، والإهمال والنبذ والقسوة.(٤)

---

(١) كمال دسوقي: النمو التربوى للطفل والمراهق، ، ٣٣٩.

(٢) حامد الفقي: دراسات في سيكولوجية النمو، مرجع سابق، ٣٠٦.

(٣) كمال دسوقي: مرجع سابق، ٣٤٤.

(٤) عبد المطلب أمين القريطي: في الصحة النفسية، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨م) ٤٤٤.

ومن المسلم به أن الآباء قد وصلوا إلى ما وصلوا إليه من خبرة بعد تجارب طويلة في زمن غير الزمن الذى يعيش فيه أبناؤهم. ووصلوا إلى خبرتهم هذه بالمحاولة إلى ارتكاب الأخطاء. وتصحيح هذه الأخطاء وكثير منهم يريد مع ذلك أن يفرض نتائج خبرته على أولاده، وينسى أنها ربما لا تلائمهم مطلقاً... ويخشى الآباء إذا تركوا أبنائهم يفكرون لأنفسهم أن يخطئوا ولكنهم ينسون أن المرء يتعلم من خطأه، ويكفى أن يكون موقفهم وأراءهم موقف إرشاد.[1]

وتلعب طبيعة الأبناء دوراً هاماً فى تشكيل الطريقة والأسلوب الذى يعاملهم به الآباء وذلك أن العبرة فى كثير من الأحيان ليست بأسلوب الآباء وتصرفاتهم فى حد ذاتها، وإنما الطريقة التى يتلقى بها الأبناء هذه التصرفات وإدراكاتهم لها وما يترتب على ذلك من تفاعلات.[2]

كما تؤثر السمات المزاجية الانفعالية للآباء ومدى توافقهم النفسى والاجتماعى على الطريقة التى يعاملون بها أبناءهم وتجدد الإشارة فى هذا الصدد إلى أهمية تمتع الآباء بصحة نفسية سليمة حتى يتسنى لهم استخدام أساليب سوية فى التنشئة وإلى أهمية أن يكونوا نماذج اقتداء مرغوبة يتوحد بها أبناءهم.[3]

وينتج عادة من اتباع أسلوب خطأ فى تربية الطفل بعض المشاكل التى تصاحب أعراضها الطفل فى سائر حياته، إذ تؤثر فى شخصية الطفل واكتسابه لبعض الصفات غير المرغوب فيها وكما ذكرنا أشهر هذه الأساليب التربوية الخاطئة: التسلط والحماية الزائدة والتدليل.

---

(١) عبد العزيز القوصى: أسس الصحة النفسية (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٢م) ١٦٧.

(٢) عبد المطلب القريطى: فى الصحة النفسية، مرجع سابق، ٤٤٤.

(٣) المرجع السابق، نفس الصحة.

والإهمال.

والقسوة.

والتفرقة فى المعاملة.

أسلوب التسلط: المقصود منه أن الطفل يعامل من والديه بصراحة وقسوة بأن يمنع الطفل فى تحقيق رغباته، ويقابل بالرفض الدائم لطلباته، واتخاذ اللوم والعقاب معه في كل شئونه مع تحديد طريقة لأكل الطفل ونومه ومذاكرته وتعيين من يصادقهم ويلعب معهم، فالوالدان هما السلطة.

يترتب على ذلك أن يصبح الطفل ضعيف الشخصية، سلبياً، دائم الخوف، متردداً غير واثق من نفسه.

أسلوب الحماية الزائدة: عادة ما يتم مع الابن الوحيد أو البنت الوحيدة فى الأسرة أو الذى جاء بعد تأخر فى الإنجاب أو الطفل الأول فى الأسرة، فيظهر على الوالدين القلق على سلامته والخوف عليه من المرض، فيتم متابعة الطفل.

ويصبح الطفل أيضا ضعيف الشخصية ودائم الاعتماد على الغير وعدم النضج أو انخفاض مستوى الطموح وفقدان التحكم الانفعالى ويسهل استثارته ويرفض تحمل المسئولية ويضعف عند اتخاذ القرار.

أما الأسلوب المستخدم من الآباء وفيه تفرقة بين الأبناء فنحن نعرف ضرره وفى غنى عن الكلام عنه إلا أننا نذكر بتحذير المصطفى صلى الله عليه وسلم ونهيه عن التفرقة وأمره بالمساواة بين الأولاد فى العطية والقبلة وفى كل شيء حتى نقتلع جذور الحقد والحسد من نفوس الأطفال فيجب المعاملة بينهم بالود والحب والعدل.

أسلوب الإهمال: للانشغال عنه خارج البيت أو لعدم الاكتراث بشئون الطفل واللامبالاة بتربيته أو الحرص عليه، فيترك الطفل دون إشباع حاجاته من الحنان والعطف والرعاية أو عدم الاهتمام بحاجته من المطعم أو الملبس وقد يكون الإهمال بعدم المحاسبة للطفل على سلوكه الخاطئ أو بعدم تشجيعه وتحفيزه مادياً ومعنوياً كلما أنجز عملاً أو بالسخرية منه بدلاً من الثناء عليه.

أسلوب التدليل: يكون فى التراخى والتهاون فى معاملة الطفل، بحيث يتم إشباع حاجات الطفل فى الوقت الذى يريده هو، وبالكيفية التى يرغب فيها والمسارعة فى قضاء كل ما يطلبه، مهما كان ذلك غير مقبول وأن يصبح من قوله فى طاعته وهن إشارته، فلا يرفض له طلب مهما كان يترتب على التدليل من تأخر النضج الانفعالى والاجتماعى عند الطفل لا يستطيع التحرى من أمر بسهولة ولا يستطيع الشعور بالمسئولية، ولا يقدرها ولا يقاوم مشكلات الحياة.

أسلوب القسوة: كالضرب بشدة كلمَا ارتكب أى خطأ أو التعنيف والقسوة بالضرب والحرمان عند الرسوب، وأشد القسوة ما كان فيه إيلام النفس كالتحقير للطفل أو لأعماله والتقليل من شأنه.

ونظراً لأن كل ما سبق من الأساليب الخاطئة، ومن ثم فالأسلوب المطلوب ينبغى أن يراعى:

١- الرفق فى معاملة الطفل، والتسامح، والتقبل والتشجيع.
٢- أن يتعود الطفل المناقشة وإبداء الرأى، وننمى فيه الثقة بالنفس مع روح من الصداقة الوالدية معه.
٣- تبنى قدرات الطفل، وتشجيعه على الاستقلال، وأن ندعه يتعلم من أخطائه وأن يحل هو بعض المشكلات مع توجيهه فى ذلك فقط.

٤- المعاملة مع الأولاد جميعهم بالعدل والحب والمساواة بينهم وعدم تمييز أو تفضيل واحد دون الآخرين.

٥- الاعتدال مع الطفل فى تلبية مطالبه فلا يكون الحرمان أو الإهمال ولا يصل إلى حد التدليل له.(١)

وتميل معظم نتائج الدراسات النفسية التى أجريت فى مجال العلاقة بين أساليب التنشئة الوالدية وإبداعية الأبناء، إلى تأكيد وجود علاقة ارتباطية موجبة جوهرية بين المعاملة أو الاتجاهات الوالدية السوية، والتفكير الإبداعى أو المقدرة الإبداعية عموماً لدى الأبناء ووجود علاقة ارتباطية سالبة أو عكسية دالة إحصائياً بين إبداعية الأبناء والاتجاهات اللاسوية فى المعاملة الوالدية لما تمثله من قوى ضاغطة، ومعوقة للتعبير عن طاقات الأبناء واستعداداتهم الخلاقة.(٢)

والأسلوب المثالى فى التربية الإسلامية للطفل يتمثل فى التوسط والاعتدال فى معاملة الطفل وتحاشى القسوة الزائدة والتدليل الزائد، وكذلك تحاشى التذبذب بين الشدة واللين والتوسط فى إشباع حاجات الطفل الجسمية والنفسية والمعنوية بحيث لا يعانى من الحرمان ولا يتعود على الإفراط فى الإشباع وبحيث يتعود على قدر من الفشل والإحباط وذلك لأن الحياة لا تعطيه بعد ذلك كل ما يريد.

كما يمتاز النمط المثالى بوجود تفاهم بين الأب والأم على أسلوب تربية الطفل وعدم المشاجرة أمامه. ويقتضى النمط المثالى كذلك بمعرفة قدرات الطفل الطبيعية وعدم تكليفه بما لا طاقة له به، وفى نفس الوقت عدم إهمال مطالب النمو حتى لا تفوت فرصة التعليم على الطفل.

ومؤدى ذلك أننا لا نتعجل النمو ونراعى مبدأ الفروق الفردية.

---

(١) محمد حسين: العشرة الطيبة مع الأولاد، مرجع سابق، ٢٨١: ٢٨٤ ملخصاً.

(٢) عبد المطلب القريطى: فى الصحة النفسية، مرجع سابق، ٤٥٠.

فالنظرة للطفل الآن نظرة تكاملية وبدلاً من تكديس المعلومات فى ذهنه أصبحت تهتم بتكوين الاتجاهات وتنمية القدرات والاستعدادات لدى الطالب.[1]

ويخطئ من يظن أن الطفل فى حاجة إلى الإشباع المادى وحسب لحاجاته الجسمية كالمأكل والمشرب والملبس والمأوى، وإنما الحقيقة أن الطفل فى حاجة أيضاً إلى إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية والروحية والخلقية.

ولا يجدى أن تشبع هذه الحاجات بصورة آلية ميكانيكية بل لابد من اقترانها بالعطف والحنان والاهتمام بالطفل.[2]

التربية المدرسية للطفل والنمو النفسى:

بوصف المدرسة إحدى المؤسسات التربوية التى تلعب دوراً هاماً مستمراً للدور الوالدى أو معالجاً ومعدلاً لما به من أخطاء، فإن تبعة هذا العمل ثقيلة، يحسن الإنتباه إلى الدور التربوى للمدرسة وغيرها.

حيث يناط بها تربية النشء وعلاقة هامة بين الأسرة والمجتمع بأسره. ومن ثم تراعى المدرسة فى النمو النفسى السليم للطفل تلبية حاجات الطفل ومراعاة الفروق الفردية والتدرج فى إكساب الطفل العادات والمهارات والاتجاهات.

ولتطبيق وتنفيذ هذا على الوجه الأمثل يراعى التكامل بين دور المدرسة والأسرة وكل من له صلة بالطفل وهذا ما نفتقده الآن فى مجتمعنا الذى نحيا فيه.

---

(١) عبد الرحمن العيسوى: مشكلات الطفولة والمراهقة أسسها الفسيولوجية والنفسية، (بيروت: دار العلوم العربية، ١٩٩٣م) ٢٨٨.

(٢) المرجع السابق، ٩٤م.

ومن ثم ننبه إلى ضرورة التعاون والتآزر والمشاركة في سبيل نمو سوى. فالمدرسة هي المنظمة التي أوكل إليها المجتمع مهمة تربية النشئ.

ويتطلب النمو النفسي السليم للطفل مراعاة التدرج في عملية الانتقال من الأسرة إلى المدرسة ثم إلى الحياة الاجتماعية، والاتساق والتجانس بين أجواء هذه البيئات الثلاث، بحيث يكون الانتقال فيما بينها طبيعياً لا يشعر معه الطفل بالفزع والصدمة ولا بالتناقض أو الانفصال فيما بينها، مما قد يؤدي به إلى القلق والإحباط وسوء التوافق النفسي والمدرسي والاجتماعي، كما يتطلب النمو النفسي السوى للطفل أيضاً الاتصال الوثيق فيما بين الأسرة والمدرسة من جانب والمدرسة والحياة الاجتماعية من جانب آخر.[١]

ويخطئ من يظن أن رسالة التربية قاصرة على تلقين الأطفال قدر من المعلومات التي تطالبهم بحفظها أو استيعابها، وإنما التربية بمعناها الشامل عبارة عن إعداد للحياة وإكساب الفرد للمواطنة الصالحة. ولذلك يتعين على المؤسسات التربوية أن تعمل على تحقيق تكيف الطفل مع بيئته الاجتماعية والفيزيقية المحيطة به وعلى تكيفه مع نفسه ورضاه عنها.[٢]

وغنى عن البيان أن التربية تحقق إشباعاً لكثير من دوافع الفرد وحاجاته، وخاصة تلك الحاجات النفسية والاجتماعية كالحاجة إلى الانتماء Need for belongingness والحاجة إلى الإبداع وإلى المعرفة وإلى القبول الاجتماعي Need for social acaptance والاعتراف وتقدير الذات واحترامها والحاجة إلى التعبير عن الذات.[٣]

---

(١) عبد المطلب أمين: في الصحة النفسية، مرجع سابق، ٤٧٥.

(٢) صالح عبد العزيز: التربية وطرق التدريس، ط٥ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢) ١.

(٣) عبد الرحمن العيسوي: مشكلات الطفولة والمراهقة، مرجع سابق، ٣١٠.

فلا يكاد الطفل يصل إلى السادسة من عمره حتى يكون قد أرسل إلى المدرسة، حيث يقوم بقضاء جزء كبير من الوقت للتعلم وكسب المهارات بمختلف صنوفها، ولتكوين الاتجاهات الاجتماعية الضرورية لحسن تكيفه مع البيئة الاجتماعية الكبرى معنى هذا أنه يضاف إلى المؤثرات المنزلية مؤثرات مدرسية أو تعليمية تستمر فى الناشئ إلى أن يخرج إلى الحياة، لهذا كانت المدرسة كبيرة الأهمية لخطورة الأغراض التى تعمل لها ولطول مدة تأثيرها.[1]

ولهذا وجب أن يكون هناك اتصال وثيق جداً بين الحلقات الثلاث وهى: الأسرة والمدرسة والمجتمع.

الأسرة ممثلة فى الوالدين الذين كلفهم ربهم بهذه المسئولية وجعلها فى أعناقهم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (التحريم: ٦) وينص حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.. ومن ثم يتوجب على الوالدين تربية وتعليم أولادهم ومتابعة دراستهم وتلك هى أحد متطلبات العبادة التى خلق الله الإنسان من أجلها.

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) (الذريات:٥٦)

ليس ذلك فحسب بل بالصدق والإخلاص

(وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) (البينة: ٥)

ومن هنا يعلم الوالدان خطورة وضرورة متابعة ورعاية وتعليم أولادهم فليس الأمر ترفا أو عبثًا مضافا. بل هو الحصن والركن الركين لا سيما فى هذا الزمان الذى بزغت وعظمت فيه الفتن.

والمعلم كالوالدين بل أشد، لأنه على علم.

---

(١) عبد العزيز القوصى: أسس الصحة النفسية، مرجع سابق، ٢٠٣.

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (فاطر: ٢٨)

وإلا يكون من الهالكين وأشد الناس عذاباً عالم لم ينفعه الله بعلمه وللمعلم فى النبى صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة حيث كان الحبيب يتفقد أحوال أصحابه فيزور مريضهم ويعين محتاجهم ويسأل عن غائبهم ولذلك صدق ابن مسعود: من كان متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس.

وللمعلمين فيهم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة.

بل ولكل من له دور يضطلع به فى تعليم الناشئة من عمال وموظفين إلى الرؤساء والمديرين، كل سيجد بغيته فى حياة الحبيب وأصحابه الكرام حيث كانوا ترجمة حية للقرآن.

ويجدر بالذكر أن الوالدين والمعلمين فى رعاية الأطفال وخدمتهم وتنشئتهم على القيم والمعايير الإسلامية المنبثقة من الكتاب والسنة، يربون مجتمعاً الله أعلم به.

ومن ثم نشير إلى ضرورة توافر السمت الإسلامى والشخصيات المسلمة التى تتخذ من القرآن والسنة شرعة ومنهاجاً.

فمن أم متبرجة إلى أم منيبة تائبة متبتلة تعرف حق ربها وزوجها وأولادها وترعى شئون بيتها.

ومن أب سكير أو ديوث أو متنطع إلى أب وقور، حبوب، يرعى شئون أهله ويقوم على خدمتهم، ويقى نفسه وأهله من عذاب الله فلا يتعرض بمعصية لسخط الله وغضبه وسطوته وبطشه. حيث يتحقق للطفل فى الجو المنزلى الصالح ما يكفل له نمواً سليمًا. من عطف وحنو وتقدير وحنان وحب الكبار للطفل مع التوجيه والإرشاد ومراعاة لأحوال الطفل وشئونه.

والمدرسة بيئة تتغذى بنشاطها من البيئة المحيطة بما فيها من مجتمع، وتغذى المجتمع بأفراد صالحين للنجاح فيه والنهوض به.[1]

المدرسة وأهميتها فى الرعاية النفسية والاجتماعية للطفل:

فالأطفال في حاجة وهم فى دور الحضانة أو الكتاتيب إلى اكتساب قدر من الاستقلال والإحساس بالذات. بما يسهم فى تكوين الشخصية على أساس سليم ولكى يكون الإسهام كبيراً فى إشباع ما يتطلبون إليه من حاجات نفسية كإحساسهم بالأمن والاطمئنان النفسى عن طريق الإشباع الصحى المناسب لكثير من الحاجات النفسية كالحاجة إلى العطف والحب لابد من مراعاة متطلبات مراحل النمو ومطالب كل مرحلة والعمل على تلبيتها فى وقتها وإشباعها بالقدر المعقول حتى لا يقع الطفل فى دائرة القلعة والاضطراب النفسى.

إننا نريد أن ننشئ الطفل تنشئة تخلق منه مواطناً أقدر وأصلح ليستمتع بالحياة فى المجتمع، كما يستمع بخدمة المجتمع والإسهام فى رقيه وتقدمه وتطوره.[2]

والمدرسة فى ارتباطها بالنظام الأخلاقى المستنبط من القرآن والمسجد فى حياة الحبيب وسيرته وأصحابه الكرام بما يضبط السلوكيات ويكبح جماح النفس ويسوقها إلى الاعتدال والتأدب، وغنى عن البيان أن المدرسة هى التى تتعهد القالب الذى صاغه المنزل لشخصية الطفل بالتهذيب والتعديل، بما تهيئة له من نواحى النشاط لمرحلة النمو التى هو بينها.

أثر المدرسة في تكوين شخصية الطفل:[1]

---

(١) عبد العزيز القوصي: أسس الصحة النفسية، مرجع سابق، ٢٠٤.

(٢) فوزية دياب: نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة ط٣ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩) ١٨٨.

إذا نظرنا إلى العوامل المدرسية ذات الأثر فى تكوين شخصية الطفل نجد أنها تنحصر فى النقاط التالية:

١- الروح المدرسية العامة:

وتشمل ما يسود الجو المدرسى من استقرار أو اضطراب، وما يتبع فى المعاملة من شدة أو لين ومن ثواب وعقاب ومن ثبات فى هذه المعاملة، وما تحققه من عدل اجتماعى.

فالمدرسة على غرار ما تقدم هى التى تعمل على تربية الشخصية من جميع نواحيها المزاجية والخلقية.

٢- المربى:

علاوة على ما يحدثه المربى من توجيه ميول التلميذ واتجاهاته العقلية نحو الأمور المختلفة فهو المصدر الذى يعتبره الطفل النموذج الذى يستخدمه النواحى الثقافية والخلقية التى تساعد الطفل على أن يسلك السلوك السوى.

٣- عامل النجاح المدرسى:

النجاح فى حد ذاته عامل ذو أثر كبير فى تكوين شخصية الطفل، إذ إن النجاح يتبعه عادة تقدير ورضا من الغير وشعور بالارتياح والثقة بالنفس أما الرسوب والفشل المتكرر فيتبعه فى العادة تأنيب النفس ونقد الغير وعدم الشعور بالارتياح أو الرضا.

وكل هذه عوامل نفسية تؤثر فى فكرة الفرد عن نفسه.(٢)

---

(١) عبد البارى محمد داود: القدوة الصالحة وأثرها فى تنشئة الطفل (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩٦).

(٢) محمد جمال الدين محفوظ: التربية الإسلامية للطفل والمراهق، ص ١٠٥، ص ١٠٧. ويراجع فى ذلك: ج بياجيه: الحكم الخلقى عند الأطفال،ترجمة محمد خيرى ومراجعه ثابت الفندى (القاهرة: دار الطباعة الحديثة، ١٩٥٦م) ٢: تينا بروس: أسس التعليم فى الطفولة المبكرة، ترجمة ممدوح محمد سلامة (القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢ هـ ٦٦: ٧٢.

ومما يجدر ذكره فى هذا المقام أن ما ينفقه المربى من وقت وجهد فى الوقوف على نفسية تلاميذه وفي مساعدتهم على أن يحسنوا التوافق مع بيئتهم الاجتماعية لا يذهب هباء، بل إن المربى حين يعين تلاميذه على أن يقوموا بحل مشكلاتهم الشخصية، إنما يعينهم فى نفس الوقت على أن يحرزوا قدراً كبيراً من النجاح فى تعليم المواد الدراسية بجهد أقل.

وكل نوع من أنواع سوء التوافق التى يصاب بها الطفل فى مطلع حياته لابد أن يستفحل أمره ويعظم خطره في مستقبل حياته.

فالهدف الأول للمربى هو أن نخلق من تلاميذه مواطنين صالحين لا تشوبهم شائبة من سوء التوافق أيا كان نوعه.

فالقدوة الصالحة خير معلم للناشئة حيث يكونون فى مستهل مرحلة نضجهم النفسى والعقلى فى قابلية كبيرة للتأثر.

والمربى هو الذى يتعهد الولد بالرعاية والتأديب حتى يستوى بعد ذلك رجلاً.[١]

والجدير بالذكر فى هذا المقام أن تربية الطفل فى الإسلام تحرص على اقتران الدين بالدنيا فى الفكر والسلوك والأخلاق.[٢]

فالمربى الذى يرعى التربية الإسلامية التى هى المفاهيم الإسلامية العظيمة التى تؤدى بالإنسان إلى عملية التخلية والتحلية من الأوصاف المذمومة، والتحلية بالأوصاف المحمودة.[٣]

---

(١) محمود محمد عمارة: تربية الأولاد فى ظل الإسلام، مرجع سابق، ١٢.

(٢) عبد البارى داود: القدوة الصالحة وأثرها فى تنشئة الطفل، مرجع سابق، ٤٥.

(٣) حسن الشرقاوى: التربية النفسية فى المنهج الإسلامى (مكة: رابطة العالم الإسلامى، ١٤٠٥ هـ) ١١ ٢٣.

والفكر التربوى فى خدمة الدين على أساس تحقيق ذلك على مستوى الفرد والعائلة والمجتمع والأمة جميعاً.

حيث إن تربية القرآن الكريم تأتى مواكبة لطبيعة الإنسان لأن الله سبحانه وتعالى واضع أصولها.(١)

ولا شك أننا فى حاجة إلى بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة يؤسس عليها عملنا التربوى فى بناء الأجيال الصاعدة، بعد أن ابتعدت كثيرًا من المنظمات التربوية عن الدين الإسلامى.

فضلت الطريق وذلك بحكم تأثرها بالنزعات والفلسفات المادية والإلحادية البغيضة المنحدرة إلينا من بلاد الغرب ومن جراء اهتمامها بالجانب المادى من الشخصية وإغفالها للجانب الروحى والإيمانى.

فنحن فى أمس الحاجة إلى نظرية أساسها ووجهتها وغايتها ومنهجها إسلامى محض.(٢)

فلقد جاءت حضارة الغرب الحديثة عرجاء مبتورة لأنها وجهت جل اهتمامها إلى العنصر المادى أو إلى التقدم المادى فى الحضارة وأغفلت الجوانب الروحية والخلقية، فجاءت حضارة منقوصة عاجزة عن فهم طبيعة الإنسان أو فهم الفطرة الإنسانية.

أما الإسلام فهو دستور كامل وشامل للحياة ينظم حياة الفرد والمجتمع ويهتم بكافة جوانب الفرد الشخصية والاجتماعية والنفسية والعقلية والأخلاقية والروحية والإيمانية.(٣)

---

(١) حسن الشرقاوى: التربية النفسية، المرجع السابق، ٢٣.

(٢) عبد الرحمن العيسوى: مشكلات الطفولة والمراهقة، مرجع سابق، ٢٦٣.

(٣) عبد الرحمن العيسوى: مشكلات الطفولة والمراهقة، المرجع السابق، نفس الصفحة.

والحياة المدرسية تستقى مبادءها لزاماً من الكتاب والسنة حتى تظفر بمرادها حيث ذكرنا أن الأسرة ممثلة فى الوالدين تشبع رغبات وحاجات الطفل. كذلك المدرسة فى إشباعها لتلك الحاجات فهى تمثيل لمنهج الإسلام فى إشباع حاجات الفرد ودوافعه حيث يمتاز بما يلى:[1]

١-أنه يعتمد فى الإشباع على مبدأ التوسط والاعتدال، فلا تقطير ولا إسراف ولا حرية مطلقة وفوضى ولا تسلط وتشدد وإنما توسط واعتدال فى كل شئ.

٢-يسعى الإسلام لتحقيق الإشباع وعدم الحرمان، ولكن الإشباع الحلال والمشروع والمقيد بقيود النظام والشرع والصالح العام دون غيره ويتربى الطفل على ذلك، فيكون أمامه تجسيد حى.

٣-يتخذ الإشباع فى المدرسة الإسلامية، فى هذا الصدد شكلاً متكاملاً بحيث تشبع جميع حاجات الإنسان ودوافعه ويؤدى هذا إلى أن يشب المسلم شخصية متكاملة روحياً وخلقياً واجتماعياً وعقلياً ونفسياً ومهنياً فالمواطن المسلم مواطن متكامل فى شخصيته، لا تطغى عليه المادة ولا حرمان أو رهبانية فى الإسلام.

٤-يقوم المنهج الإسلامى فى هذا الإشباع على أساس التنظيم والضبط ووضع القيود والقواعد التى تجعل عملية الإشباع مفيدة ونافعة للفرد وللمجتمع على حد سواء.

٥-ومع الدعوة للإشباع والأكل والشرب من خيرات الله ومن طيبات الرزق، إلا أن الإسلام يهتم بتربية مواطنيه على أساس من الزهد فى متاع الدنيا وشهواتها وملذاتها وسلطانها وجاهها، فالدنيا زائلة فانية، وليست الحياة

---

(١) عبد الرحمن العيسوى: الإسلام والعلاج النفسى، (الإسكندرية: دار الفكر الجامعى، ١٩٨٦م)

الدنيا سوى رحلة عابرة الهدف منها العمل الصالح الذى يقود إلى التمتع الأبدى والأزلى فى الحياة الآخرة والجنة وما فيها من خيرات ونعم.. والعمل لاكتساب رضا الله تعالى.

٦- الحرص الإسلامى على إشباع حاجات المرء والطفل على الأخص وتزكية نفسه والسمو بها من الذاتية إلى الغيرية وحب الخير للآخرين ومساعدتهم والوقوف بجوارهم وتقديم العون لهم. أخذ أو عطاء.

"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"

٧- ولذا لم يتبق أى عذر للمدرسة فى عدم أخذها بمنهج الإسلام شرعة الله ومنهاجه.

فالمدرسة تقوم بالتربية الشمولية للطفل إيمانياً على الإسلام عقيدة وعملاً سلوكاً وتطبيقاً ومبادئ وأخلاقياً ونفسياً على الحب لله ولرسوله والمؤمنين والولاء لله والبراء من أعدائه وعلى الطاعة لله والتوكل عليه والطمع فى رحمته.. واجتماعياً فى التخلق بآداب الإسلام وسلوكياته وسمته الحسن وأخلاقه الطيبة.. الخ. ويربى الشخصية والاستقلالية.

والسعى للنجاح وتحمل المسئولية والجد والكفاح والثقة بالنفس.. الخ وينمو الطفل على الإيجابية فيساعد غيره ويصل رحمه ويزور المريض ويرعى حق الوالدين ويحفظ حق جاره ويصون الأمانة.. الخ.

إنه الطفل فى رحاب الإسلام

وسلسلة التربية موصولة الحلقات، فهل تنهض الأسرة بدورها وتقوم المدرسة بوظيفتها، وتتحمل هذا العبء !!؟

وهل تتفق جهود المدرسة والأسرة يوماً ما وتتسق خطواتها عبر طريق واحد كى تقر بالطفل الصغير من ذلك التناقض الذى يربكه، لو أنه لم يجد

في مدرسته صدى لما في بيته وبين والديه. بقدر ما يكون إنسان المدرسة والبيت تدعيماً لقيم تضرب بجذورها في نفسه بالممارسة والتكيف المستمر ليقدمه إلى المجتمع في النهاية رجلاً راشداً، يتحمل مسئولية هو أحق بها وأهلها فالأسرة والمدرسة تحملان تبعة أخلاقيات مراحل النمو الاجتماعى للطفل.

حيث يعملان على وجاء اجتماعى للطفل من خلال الاعتزاز بقيم الإسلام الذى يحمل شرف كونه من المسلمين والبراء من أفعال السفهاء المخالفين فكفى لنا دليلاً فشل المبادئ التربوية المستوردة فى إعداد جيل صالح. فقد صارت بيننا كالداء الخبيث الذى لا يذهب إلا باستئصال جذوره لا سيما وقد استفحل خطره وضرره.

فالصبى المسلم لا يصلح أمره إلا بما صلح به أمر أخوة له من قبل عاشوا على منهج الإسلام بين أسرة تلتزم به.. ومجتمع يسير على هداه.. فاستوى عوده فى تربة صالحة مصلحة.[١]

أما إذا صلحت المناهج فى المدرسة... بينما بقيت أجهزة التوجيه الأخرى تهدم ما بنيته.. فلن يبلغ البنيان يوماً تمامه.

ويرى البعض أن الطفل يخضع لتأثيرات أربع من القوى الاجتماعية هى:[٢]

١- الأسرة: أفرادها متمثلين فى الوالدين والأخوة والأقارب.

٢- المدرسون: والقائمون بالعملية التربوية داخل المدرسة.

٣- الرفاق: سواء الصف أو اللعب.

---

(١) محمود محمد عمارة: تربية الأولاد فى ظل الإسلام، مرجع سابق، ١٨٤.

(٢) محمد عودة ومحمد رفقى عيسى: الطفولة والصبا، ط٢ (الكويت: دار القلم، ١٩٩٣م) ٢٥٤.

٤- الإعلام: وأنماط التربية غير المقصودة التى تهيؤها وسائل الإعلام العامة وبإمعان النظر نجد المتغير الثانى هو البيئة المدرسية التى يحيا فى كنفها الطفل.

فالطفل يتعلم السلوكيات الاجتماعية من خلال الأسرة ثم تتسع دائرة العلاقات الاجتماعية، حيث تصير المدرسة ذات قوة تطبيع اجتماعية لها شأنها، وبما أن المدرسة مؤسسة اجتماعية فإن العمل الذى تقوم به ينبثق من قيم المجتمع وفلسفته، فمن اتخاذ الوالدين قدوة، فينتقل من حجرة الوالدين إلى حجرة أوسع وبالتفاعل بين الطفل ومدرسية وزملائه تتشكل شخصيته. بل وتتحدد نوعية الإضافة إلى بناء الشخصية لدى الطفل على افتراض أن هناك نوعاً من الألفة العاطفية، مثلما يوجد نوع من الألفة الفكرية بين المدرس والتلميذ.

وهذه الألفة تجعل احتمالات التوحد النفسى أمراً غير مستبعد.[١] وثمة بعض المتغيرات المدرسية ذات العلاقة بالصحة النفسية للطفل نذكر منها:

المناخ المدرسى العام – نمط الإدارة المدرسية – العلاقات المهنية والإنسانية داخل المدرسة – المنهج الدراسى – خصائص شخصية المعلم وتوافقه المهنى وأدواره وواجباته فى المدرسة عموماً وفى الإرشاد النفسى خصوصاً.[٢]

فالمدرسة تعد بحق إحدى المؤثرات والبيئات التى يكتسب منها الطفل خبراته وينهل منها معارفه ويمتص قيمه واتجاهاته وأنماط سلوكه، ومن ثم لا يمكن تجاهل مثل هذا التأثير.

---

(١) راجع فى ذلك: المرجع السابق، ٢٥٦.

(٢) عبد المطلب القريطى: فى الصحة النفسية، مرجع سابق، ٤٧٧.

فإن كان هذا المناخ صحياً سليماً مشبعاً بالحب والفهم وتقدير حاجات التلاميذ وتحقيق توقعاتهم، – وهو ما نريده – مناخاً قائماً على المشاركة الجماعية والتصادف والاحترام مشجعاً على الإبداع ومانحاً للحرية، وفى الوقت نفسه كافلاً للضبط والالتزام وتحمل المسئولية، فلا شك أن مثل هذا الجو سيساعد على نمو شخصيات أقرب إلى الاتزان والتكامل والتوافق والصحة النفسية السليمة.

على العكس من ذلك فإن المناخ المدرسى الذى تشيع فيه أساليب الضغط والقسر والإكراه والصلف والشعور بالخوف والتهديد وتصدع العلاقات الإنسانية والاجتماعية. أو الذى تشيع فيه الحرية الزائدة والفوضى والإهمال والتسيب وينعدم فيه الضبط والربط. أو الذى لا يقيم اعتباراً لحاجات التلاميذ ولايحترم شخصياتهم، فمثل هذا المناخ لن يؤدى فى أغلب الأحوال سوى إلى نمو مظاهر السلوك الشاذ والانحرافات السلوكية لدى التلاميذ كالكذب والسرقة والغش، والاستهتار والعنف والعدوان وسوء التوافق الدراسى، وكراهية المدرسة والهروب منها ومن ثم التأخر الدراسى.[١]

ولكى تتحقق شخصية سوية للطفل نسعى إلى:

١- أن يكون للطفل كثيراً من الأصدقاء حسن الخلق.

٢- أن يكون الطفل أكثر قدرة على تحمل النقد Criticism.

٣- أن يكون الطفل أكثر إيجابية وفاعلية وحسماً وإثباتا لوجوده.

٤- أن يكون الطفل أقل كآبة أو حزنا أو توعكا فى المزاج أو تقلبا فيه.

٥- أن يكون مجداً ومجتهداً ومناضلاً.

٦- أن يكون أكثر قدرة على الإنتاج والتحصيل والإنجاز.

---

(١) عبد المطلب أمين: فى الصحة النفسية، مرجع سابق، ٤٧٨.

٧- أن يكون أكثر طاعة وولاء والتزاماً وانضباطاً.[1]

وهل يتحقق ذلك بغير الإيمان بالله؟

وهل يتحقق ذلك بغير الأسرة والمدرسة أولا؟

وفى عهد السلف الصالح كانت المدرسة النبوية التى فتحت العالم ونشرت فيه الفضائل والقيم والمثل والأخلاقيات الإسلامية وقد كان المسجد حينئذ مدرسة إسلامية تفوق غيرها فهل نرى مساجدنا دور علم بحق كما كانت ومدارسنا مساجد للقيادة بالعلم الصحيح !؟؟

---

(١) عبد الرحمن العيسوى: مشكلات الطفولة والمراهقة، مرجع سابق، ٣٠٠.

الفصل الخامس

شمولية التربية والصحة النفسية

١) الأمن الاجتماعى للطفل.. نحو تربية اجتماعية سوية.

٢) الوجاء الخلقى وأثره فى نفسية الطفل وشخصيته.

٣) التربية القرآنية للطفل والأمن النفسى نحو التربية الروحية.

٤) فى نهاية المطاف.. بداية انطلاق للآفاق.

الأمن الاجتماعي للطفل

الإسلام كله مدرسة تربوية جامعة تبني الفرد والجماعة وتسهم في تنشئة المواطن الصالح المؤمن بربه ووطنه والقادر على الإسهام الفعال في حركة تعمير الكون وتنمية الحياة.

ومن ثم نلحظ استخلاف الله له في عمارة الكون على أساس عدد من المبادئ الإنسانية والخلقية قوامها النقاط التالية:

١- التعاون والأخذ والعطاء وتحقيق الصالح العام المشترك.

٢- الشورى والإيمان برأى الفرد والجماعة.

٣- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعن الفواحش والرذائل والجرائم وكافة حزوب الفساد والإفساد والشر والبطش والطغيان.

٤- الرحمة والشفقة والعطف والبر والإحسان والتقوى والخشوع والورع.

٥- التضامن والتكافل والتساند وحماية الفقراء والعطف عليهم.

٦- العدل والمساواة والإخاء وتكافؤ الفرص. فالناس سواسية.

٧- العلم والتفكير الموضوعي ونبذ الخرافة والشعوذة والخزعبلات والأباطيل والسحر والتطير وما إلى ذلك من الأمور التي تفسد الاستدلال المنطقي السليم والدعوة للتأمل والتدبر والتبصر في مخلوقات الله ترسيخاً للإيمان بالله الخالق العظيم وبرسوله الكريم.

٨- ترسيخ قيم الحق والعدل والإنصاف في المعاملات بين الناس.

٩- الدعوة للعمل والإنتاج والأكل من كد اليد والبعد عن سؤال الناس قدر المستطاع.

١٠- الدعوة لعبادة الله تعالى وهي الغاية القصوى من هذه الحياة.[١]

---

(١) عبد الرحمن العيسوي: مشكلات الطفولة والمراهقة، مرجع سابق. ٢٦٦.

وواضح أن الإسلام، عبادة ومعاملات، تناول كافة جوانب حياة الفرد بالتنظيم الدقيق. والطفل فى ظل الرعاية الإسلامية يلقى من كتاب الله وسنة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ما يكفل له سلوكاً إنسانياً إيمانياً بل وينميه ويطوره إلى الأفضل فى كل مرحلة.

فالإسلام فى تربية الأطفال يستهدف صقل سمات الطفل الاجتماعية والنفسية وتنميتها وتحرير نفسه من الشوائب والعوالق ومن الأمراض ومن العقد والأزمات ومن مشاعر النقص والدونية أو من لهيب الحقد والغيرة والحسد والغل والانتقام والثأر والبغض والكراهية والطمع والجشع والاستحواذ.

ومن ثم فدور التربية أن تطهر نفس الطفل مما قد يتأجج بداخلها، من مشاعر الانتقام والعدوان أو من رغبة فى التحطيم والتدمير وفى الدس والكيد للناس أو من عادات الغش والخداع والرياء والمداهنة والسلبية والنفاق واللامبالاة.[1]

وحيث أن التربية تلعب دوراً هاماً فى التنشئة الاجتماعية للطفل، فالمربى الصالح يهتم بالطفل، كما تهتم الأم بمولودها، أو الوالد الشغوف الحكيم بابنه، فيأخذ بالأسهل من الأمور ولا يحمله ما لا طاقة له.. يبصره بأمور نفسه، ويعرفه المخاطر والعوائق، ثم يرتقى معه شيئاً فشيئاً، فيعمل على تغيير طبعه وترك عوائده فى جميع أموره، واتباع الشرع والعقل. [2]

ولكى تكون تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية حسنة فإن تربية الطفل لابد وأن تقوم على عدم المغالاة، وعلى الصدق والأمانة والشجاعة والتدين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر وعدم التكبر والتخنث فى

---

(١) عبد الرحمن العيسوى: مشكلات الطفولة والمراهقة، المرجع سابق، ٣٣٠.

(٢) حسن الشرقاوى: الشريعة والحقيقة (الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م) ص ٢١٠

مشيته وأعماله وعدم التشبه بالنساء والإسراف فيما ينقص من كرامته، مثل كثرة المزاح إلى آخر ذلك من الصفات المذمومة.

وعلى الآباء أن يشوقوا الأبناء إلى كل ما هو خير وأن ينفروهم من كل ما هو شر.[1]

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ) (الأحزاب: ٢١) من خلال القرآن الكريم والتوحيد والفقه والتفسير والحديث والسيرة النبوية الشريفة والثقافة الإسلامية فى كتب التراجم وقصص الأنبياء وتاريخ الإسلام الزاهر، يتربى النشئ المسلم داعياً واثقاً معتزاً بدينه وإسلامه. يتربى الأطفال على الإسلام، على عقيدة الوحدانية، وإثبات الألوهية والربوبية وتحقيق العبودية لله رب العالمين، بمعنى التلقى من الله وحده أوامره وشرائعه ومنهجه وتعاليمه فى أمر الدنيا والآخرة، فهى الصلة الدائمة بالله عقيدة وعملاً، سلوكاً وتطبيقاً.[2] بالعبادات تسمو النفوس، ويتدرب الأطفال وينشئوا. وهى منهج حياة متصل لا يخبو أثرها حتى توقد فى النفوس شعلة الإيمان التى لا تنطفئ وشحن نفسى وطاقة إيمانية هى الحصن الحصين فى نفوس الأبناء وسلوكهم.

وتربية الأولاد من ركائز توفير الأمن الاجتماعى، حيث بها يتدرب النشئ على أصول التعامل الاجتماعى وآدابه ومستلزماته من حب الخير للغير وتوقير الكبير والاستئذان والمشورة.. الخ.

وهذا ما يقتضى تربية الأطفال على كتاب الله العزيز المجيد. ومن ثم يجب مراعاة تحبيب الأطفال فى كتاب الله وتسهيل حفظه وفهمه وتيسير قراءته وتدبره والحرص على الانطلاق منه فى تعليم الأطفال العبادات

---

(١) عبد المقصود عفيفى: القرآن والمجتمع. (القاهرة: مطبعة النيل الحديثة، ١٩٥٣م).٧٧.

(٢) راجع مؤلفنا: التربية الاجتماعية للطفل فى رحاب الإسلام.

والمعاملات وشئون الحياة. ويثمر هذا فى نفس الأطفال عواطف ربانية، حيث يرى الطفل فى كتاب الله عظمته وروعة كونه وخلقه وملكه وجبروته وقوته وعدله ورحمته، ناهيك عن الإصرار على تفقيه الأولاد فى أسماء الله الحسني والتى نرجوا من الإفراد أن يحثوا عليها ففيها مالا يدركه إلا متفكر ومتبصر.

وهنا يكتسب الطفل عقيدة إسلامية، تتغلغل فى الأعماق وترتبط بكيان الطفل وتكون مقوماً ضرورياً لطبيعته وليس فى مقدوره أن ينفصل بفكره ووجوده وسلوكه عن رباطها الوثيق وصلتها العميقة بالنفس، يستشعر المرء فى نفسه من الخضوع والإذعان لأوامرها والوقوع تحت تأثيرها بمقدار ما يتحلى من حقيقتها وما ينكشف من معانيها وأيضا ما ينطبع عنها فى ذهنه من آثار، وما يكون فى وجدانه من انفعال، وما يقوم لها فى قلبه من قداسة أو اعتبار.[١]

فيعرف الناشئ أنه يتعلم القرآن ويعظمه لأنه كلام الله ووسيلة لمناجاته ومعرفته والخضوع له وتحقيق أوامره.[٢]

فيكون لدى الطفل الحد الأدنى من حب لدين الإسلام وطاعة الله وتطبيق حكمه وأمره فى معاملة النفس والأهل والآخرين. وليس ثمة أمن اجتماعى وصحة نفسية لأى إنسان ما لم يتربى على عقيدة سوية وأخلاق قويمة وسلوكيات فاضلة.

والإسلام يفيد النشئ فى ذلك أعظم إفادة.

---

(١) محمد بيصار: العقيدة والأخلاق وأثرها فى حياة الفرد والمجتمع، ط٣ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢م) ١٤.

(٢) محمد سلامة محمد: مدخل علاجى جديد لانحراف الأحداث، العلاج الإسلامى ودور الخدمة الاجتماعية فيه، ط٢ (الإسكندرية: المكتب الجامعى الحديث، ١٩٨٩م) ٢٠.

فينشئ الطفل وقد غرست في نفسه الأخلاق الفاضلة من حب الخير والإخاء والتواد والتعاون والمشاركة والتهادى والبشر وحب المساعدة والدعاء للآخرين بالفلاح والنجاح والتوفيق،

ومن ثم فالطفل فى ميزان الإسلام وشرعه ومن خلال محكاية تكون له تجربة مميزة لها أثر واضح فى شخصية مستقلة فى الحكم على الأمور، ويتضح، ذلك فيما يصدر عنه من الأخلاق والآداب الإسلامية.

ولقد اهتم الإسلام بالتربية الاجتماعية للطفل اهتماماً كبيراً وذلك لأنها تمثل الظواهر السلوكية والوجدانية المترتبة على التربية الإيمانية والخلقية والنفسية وقد وجه المنهج الإسلامى الآباء والمربين إلى إعداد الأبناء منذ الصغر على التزام العادات الاجتماعية الفاضلة التى تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة، وتعتمد على حسن التعامل والاتزان.[1]

ولقد أثبتت التربية الاجتماعية الإسلامية صلاحيتها لكل زمان ومكان ولكل الأجناس مما يجعل بعض الشعوب الأوربية وأصحاب الديانات الأخرى، يقتبسون من نورها ويسيرون على هديها. وليس ثمة أمن اجتماعى للطفل بدون تربية اجتماعية قويمة تشكل الأبناء فى السنوات الأولى من حياتهم لتحولهم من مجرد كائنات حية إلى كائنات بشرية اجتماعية.[2]

وخلاصة ما سبق بحثه أنه لا مفر من ضرورة التربية الاجتماعية للأطفال على هدى كتاب الله وسنة حبيبه. ومصطفاه صلى الله عليه وسلم وإمداد الناشئ بما أمر به ربه عز وجل وغرس أصول العقيدة الإسلامية فى نفوس الأطفال وتدريس السيرة والسنة والفقه.. الخ فضلاً عن توافر القدوة الصالحة أمام الأطفال، فإذا فسد الزمان، عرف الأطفال الميزان.

---

(١) مصطفى كامل: هذا هو منهج الإسلام فى التربية (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٤١٣هـ) ٢٣.

(٢) سعد جلال: الطفولة والمراهقة (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٨٥م) ١٢٥.

الوجاء الخلقى للطفل وأثره فى نفسية الطفل

ينمو الطفل خلقياً عن طريق التوحد مع قيم الآباء ومعاييرهم ومثلهم وعاداتهم وتقاليدهم وأنماط سلوكهم وتقمص سمات شخصياتهم وبذلك يصبح الطفل قادراً على التعامل مع أفراد المجتمع الخارجى على أساس من المعايير المقبولة اجتماعيا وخلقيا ومعنى هذا أنه يكتسب روحه الاجتماعية إلى الرغبة والقدرة على الحياة مع بنى جنسه من أفراد المجتمع، كما يكتسب إنسانيته عن طريق ما يلقاه من تعاليم دينية وخلقية كما يتمكن من مقاومة الانحراف والكف عن ارتكاب الأخطاء أو المعاصى.[١]

وليس شئ أسمى من أن يتمسك أطفالنا بالأخلاق الحسان أخلاق الإسلام.

والإسلام يربى خلق الإنسان بطرق عديدة متكاملة لا يستغنى بعضها عن بعض وإذا كانت التربية بمفهومها الخلقى والتوجيهى، والتكوين النفسى والوجدانى مطلوبة من كلا الجنسين، فإنها تتطلب توسعاً أكبر للأنثى، بحيث تتأقلم فيها النظريات والأسس وتصبح مع مرور الزمن مدرسة قائمة بذاتها، متميزة بمنهجها وموئلاً للبناء الشامخ.[٢]

لا سيما ونحن نسعى إلى رجال مهذبين وسيدات مهذبات، ذوى أخلاق نبيلة، ونفوس أبية، وإرادة قوية يعرفون معنى الواجب ويقومون به، ويتمسكون بالفضيلة حيالها، يجتنبون الرذيلة بغضا فيها ويراقبون الله فى السر والعلانية وفى كل عمل يعملونه.

تجدهم نبلاء فى أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم.[٣]

---

(١) عبد الرحمن العيسوى: مشكلات الطفولة والمراهقة، مرجع سابق، ٣٢١.

(٢) محمد على قطب: فضل تربية البنات فى الإسلام (القاهرة: مكتبة القرآن، ١٩٨٥م) ٤٠.

(٣) محمد عطية الإبراشى: التربية والأخلاق فى الإسلام، (مقال منشور بمجلة منبر الإسلام، العدد الثانى عشر، ١٩٦١م) ٤٩.

والجدير بالذكر أن التربية الخلقية التى تكفل لأطفالنا وجاء خلقيا يعصمهم من الزلل ويجنبهم الوقوع فى براثن الآثام والرذائل التى تفسد عليهم حياتهم وتسيء إلى غيرهم، ولذا فالتربية الخلقية التى تغرس فى نفوس أطفالنا إنما تبتعد بهم عن تجنب الشر والإقبال على الخير فيصبح هؤلاء الأطفال متحلين بمكارم الأخلاق والفضائل العليا، كحب الخير والإيثار والإحسان والقوة والمحبة.(١)

وخروج الإنسان متكاملاً، واعياً، عارفاً بربه، سليماً فى معاملته مع إخوانه غاية الصحة النفسية وأحد سبلها فى ذات الوقت. والنفس الإنسانية تنزع إلى الهوى والشهوة بما جبلت عليه من صفات مذمومة لذلك وجب تحريك محرك الترهيب للقضاء على هذه الآفات أولاً بأول، بينما نعمل على تحريك محرك الترغيب فيما يتصل بالأفعال المحمودة.. حتى يتحلى بها الإنسان عقيدة وسلوكا فتصبح هذه الأفعال طبعاً وأصلاً.

وقل لي بربك هل يتحقق للإنسان صفاء نفسي وشفافية نورانية بغير ما نغرس فيه منذ الصغر، الصدق، والأمانة، والاستقامة، والإيثار وإغاثة الملهوف، واحترام الكبير، وإكرام الضيف، والإحسان إلى الجار، والمحبة للآخرين...؟

وهل يتأتى ذلك إلا إذا قام المربون المصلحون بإصلاح نفوسهم أولاً لأنهم هم القدوة الصالحة فى هذا المقام؟

ناهيك عن الآباء والأمهات لكونهم مسئولون عن تنزيه ألسنة أطفالهم من السباب والشتائم والكلمات النابية القبيحة، وعن كل ما ينبئ عن فساد الخلق وسوء التربية. ومسئولون عن ترفعهم عن سفاسف الأمور ودنايا العادات

---

(١) حسن الشرقاوى: التربية النفسية فى المنهج الإسلامى، مرجع سابق، ٢٧.

وقبائح الأخلاق، وعن كل ما يحط بالمروءة والشرف والعفة ومسئولون عن تعويدهم على مشاعر إنسانية كريمة واحساسات عاطفية نبيلة. كالإحسان إلى اليتامى والبر بالفقراء والعطف على الأرامل والمساكين، إلى غير ذلك من هذه المسئوليات الكبرى الشاملة التى تتصل بالتهذيب وترتبط بالأخلاق.[1]

وقد قال ابن الجوزى فى حثه للوالدين وإعلامه لهما بدورهما فى الموسم الأول من العمر والطفولة ": (ويقبحان عنده ما يقبح، ويحثانه على مكارم الأخلاق، ولا يفتران عن تعليمه على قدر ما يحتمل، فإنه موسم الزرع) ".[2]

نحو التربية النفسية.. عذراً.. بل التربية القرآنية

القرآن والنمو النفسى للطفل

بادئ ذى بدء فإننا إذا تأملنا الآثار التى يتركها الدين الإسلامى سواء فى جوانبه العقائدية أو السلوكية لوجدنا أن له أعمق الأثر على نفسية الفرد وحياته العقلية والروجية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية.

فلقد دلت الدراسات النفسية الحديثة أن حياة التدين تساعد المؤمن على التمتع بالصحة العقلية والنفسية إلى الحد الذى جعل بعض العلماء من أمثال عالم النفس كارل يونج يستخدم الدين منهجاً. فى علاج مرضاه وذلك بإعادتهم إلى حظيرة الدين ومظلته الظليلة وإلى فكرة الإيمان.[3]

فالمؤمن يشعر دائماً بأن هناك سنداً قوياً ورحيماً يقف بجانبه يرعاه ويشد من أزره في الشدائد. ناهيك عن أثر القضاء والقدر والإيمان به فى

---

(١) محمد عطية الإبراشى: التربية والأخلاق فى الإسلام، مرجع سابق، ٥٠ وانظر فى ذلك مؤلفنا: التربية الخلقية وأثرها فى نفسية الطفل. وكذلك: عبد البارى محمد داود: القدوة الصالحة وأثرها فى تنشئة الطفل، مرجع سابق، ص ٦٤.

(٢) أبو الفرج ابن الجوزى: تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، مرجع سابق ١٧.

(٣) عبد الرحمن العيسوى: مشكلات الطفولة والمراهقة، مرجع سابق، ٣٣٦.

نفسية الفرد والثواب والعقاب والجنة والنار وجعله ذلك بالسلوك. والواقع أن الدين الإسلامى مدرسة روحانية وسلوكية وخلقية واجتماعية شاملة تصقل شخصية المؤمن وتهذبها وتنمى فيها دوافع الخير والعفة والفضيلة والرحمة والتعاون وتغرس فيه مبادئ خلقية قويمة كالإخاء والأخذ والعطاء والتعاون.[1]

وكما قال الشاعر:

لا تسه عن أدب الصغير وإن شكى ألم التعب

وإليك نموذج للإهمال من الأب فى تعويد ابنه الأدب، حيث كان عبد الملك بن مروان يحب ابنه الوليد ولا يأمره بالأدب فخرج لحاناً فقال: (أضر حبنا بالوليد).[2]

ونحن ماذا نريد من أطفالنا؟

ما الذى يتفرد به الإسلام عن غيره من مناهج البشر فى تربية الأطفال؟

لا شك أن منهج الإسلام يسمو على كل المناهج ويفوقها، بيد أن الأمر يحتاج إلى منقب ومفحص وذوى الهمم العالية والقمم السامقة التى تبرز وتنفذ، فهل يشك أحد فى أن منهج الإسلام يرقى بالنفس والروح ويزكيها إلى أعلى المراتب؟ إن القرآن الكريم وتفسيره أو تفصيله، والسنة النبوية بمعناها العام الذى يشمل سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، إن هذين المصدرين العظيمين قد اعتمدا أسلوباً لتربية الروح يجعلها دائماً قادرة على التعبير عن حاجاتها وسعيدة بهذا التعبير، وقادرة كذلك على الارتقاء بالإنسان إلى مراتب عالية من الصفاء والسمو والتقرب من الله والشعور بوجوده وبنعمه

---

(١) المرجع السابق، ٣٣٧.

(٢) أبو الفرج بن الجوزى: تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، مرجع سابق، ١٧.

وبمراقبته وبرعايته للإنسان والقرب من هذه الرعاية بل ويسدد خطاه في كل أمر ليخطى بسعادة الدارين، كما تمكنه هذه التربية من الإقبال على الله وحبه والرضا بقضائه وقدره.(١)

والتربية النفسية الروحية القرآنية رياضة للنفس لتقويمه العزيمة.. والعزيمة باب الصحة النفسية.

ناهيك عن الاهتمام بالناحية الوجدانية من شخصية الطفل حيث الاهتمام بالنيات والخواطر المحمودة والتخلص من الخواطر والوساوس والنيات السيئة والآفات الباطنة.(٢)

التخلص من الآفات والرذائل والصفات المذمومة والتخلية منها تماماً. والتحلي بالفضائل والقيم والمثل، ولا غرو أن الإسلام بمنهجه السامي يرقى النفوس بعد مداوتها، فما أبلغ من تربية الروح من خلال عبادة الله سبحانه وتعالى بالفرائض والنوافل وفق ما شرع وكذلك من خلال الفطر والتأمل فيما خلق لأخذ العبر والعظات والوقوف على الحق.(٣)

فالتأمل والتفكر والتدبر في آلاء الله موصلة إلى السعادة الأبدية، وكلما زاد التأمل والتفكر والتدبر في الأيات الكونية يزداد الإيمان ويعمر القلب بنور الحق والإيمان، ذلك هو التأمل والتدبر في الأيات الإلهية في جميع المظاهر الكونية الناطقة بالتسبيح والتهليل والتنزيه لذات الحق سبحانه وتعالى

---

(١) عثمان عبد الرحمن جبريل: التربية الإسلامية تعليمها وتعلمها (الإسكندرية: نور للطباعة والنشر، ١٩٩٥) ٧٢.

(٢) حسن الشرقاوي: التربية النفسية في المنهج الإسلامي، مرجع سابق، ٣١-٣٣ وانظر أيضاً: سيد أحمد عثمان: الإثراء النفسي، دراسة في الطفولة ونمو الإنسان (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٤٠٦ هـ) ٦٣: ٧٦.

(٣) عثمان عبد الرحمن: التربية الإسلامية، مرجع سابق، ٧٤.

تلك هى المكونات الدالة على قدرة الحق سبحانه وتعالى فهى آثاره الشاهدة ببدائع صنعته تبارك وتعالى.[1]

فما أحوجنا إلى الاهتداء بنور الله فى كتابه القرآن المجيد. وتلك دعوة.

فى نهاية المطاف بداية انطلاق للآفاق

كان هذا غيض من فيض مما أرشد إليه ابن الجوزى فى حديثه عن الموسم الأول من العمر، وهو طفولة الإنسان وصباه.

وقد تعرض ابن الجوزى بإيجاز إلى النمو العقلى والذكاء لدى الأطفال، ولعله قد فصل فى هذا الموضوع وأفرد له كتاباً مستقلاً تناولته أيادى المتخصصين فى علم النفس بالدراسة والشرح والتحليل. كتاب الأذكياء لابن الجوزى.

ومن ثم فلم نتعرض لذلك إلا بالإشارة السريعة والكلمات الوجيزة.

أيضاً قد توقفنا عند الموسم الأول وقد تبقى منه جزء لم نتناوله هنا بالدراسة حيث أفردنا له دراسة مستقلة وقد فعلنا ذلك عند تناول موضوعات أخرى فصلناها فى مؤلفات بالشرح والتحليل.[2]

من الطفولة إلى المراهقة

ومن الرعاية إلى المسئولية والتكليف

---

(١) عبد البارى محمد داود: السياحة فى الإسلام، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م) ٣٠. وانظر: ابن عطاء الله السكندرى: الحكم، بشرح محمد أبو العلاء ط (القاهرة: مكتبة الجندى، د. ت) ١٩٦.

(٢) راجع فى ذلك مؤلفاتنا عن: التربية الإيمانية للطفل فى ظل الإسلام.
: والتربية الخلقية وأثرها فى شخصية الطفل.
: والتربية الاجتماعية للطفل فى رحاب الإسلام.
: وفلسفة المحبة وأثرها فى نفسية الطفل.
: والحب الأسرى وأثره فى نفسية الطفل.

ومن موسم الزرع إلى موسم الثمر

يقول ابن الجوزى:

"فإذا راهق الصبى فينبغى لأبيه أن يزوجه، فمن بلغ له ولد وأمكنه أن يزوجه فلم يفعل وأحدث الولد كان الإثم بينهما."

ويروى ابن الجوزى مرشدا الوالد كيف لا يذكر حاله عند المراهقة وما لقى وما عانى بعد البلوغ أو كان قد وقع فى زلة فيعلم أن ولده مثله ".[1] وذكر ما تتفاوت فيه الهمم فيقول: وينزر أى يقل من يؤثر العلم على النكاح، ويعلم نفسه الصبر، فإن أحمد بن حنبل رحمه الله لم يتزوج إلا بعد الأربعين.[2]

ولنا مع كتاب ابن الجوزى وقفات أخر، لنتعرض بالدراسة التحليلية التتبعية ما ذكره عن باقى مراحل نمو الإنسان وتربية الصبيان.

وبخاصة دراسة الموسم الثانى والذى أطلقت عليه المجاهدة وقال عنه ابن الجوزى:

" وهذا هو الموسم الأعظم الذى يقع فيه الجهاد للنفس والهوى وغلبة الشيطان، وهو من زمان البلوغ إلى منتهى الشباب، وبصيانته يحصل القرب من الله تعالى، وبالتفريط فيه يقع الخسران العظيم، والصبر فيه على الزلل يثنى على الصابرين كما أثنى على يوسف عليه السلام إذ لو زل من كان يكون. "[3]

ولعله يشير إلى قول الله تعالى مثنيا على يوسف

(إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (يوسف: ٩٠).

---

(١) أبو الفرج ابن الجوزى: تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، مرجع سابق، ١٨.

(٢) المرجع السابق: ١٩.

وانظر هذا الأثر فيما أورده ابن الجوزى فى كتابه مناقب الإمام أحمد بن حنبل (٣٧٣).

(٣) أبو الفرج ابن الجوزى: تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، مرجع سابق، ١٩.

وحتى يتسنى لنا القيام بهذه الدراسة والمدراسات التالية عن الشباب والرجولة والكهولة والهرم فى نظرات ارتقائية تربوية، نرشد القارئ الكريم إلى مؤلفنا عن التربية الإيمانية للطفل فى ظل المنهج الإسلامى حيث تحدثنا تفصيلاً عن: النية فى إنجاب الأطفال بعد الحديث عن النية من الزواج واختيار الزوجين المسلمين لبعضهما أما وقد جمع الله بينهما وأولهما مولوداً كيف يرعيانه ويربيانه على شرع الله وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نظرات فى الفطرة السوية والتزكية النفسية لدى الطفل وأهمية التنشئة على العقيدة الإسلامية ونماذج للهداية الربانية وأخيراً كان فضل الأداب فى أخلاق الإنجاب.

وعذراً إلى القارئ الكريم أن يحسب لنا هذه الجولة السريعة فى رحاب الإسلام مع أحد علمائنا الكرام وأن يعذرنا إذا أهملنا عن غير قصد بعض النقاط، ولأنه عمل بشرى لا يخلو من نقص ورحم الله من أهدى إلى عيوبى.[1]

ونختم بما ختم به صاحب التنبيه، ونسأل الله العون أن تتم الدراسة حتى تبلغ ما نؤمل ابتغاء مرضاة الله:

يقول ابن الجوزى.. " ومن عرف شرف العمر وقيمته لم يفرط فى لحظة منه. فلينظر الشاب فى حراسة بضاعته، وليتحفظ الكهل بقدر استطاعته وليتزود الشيخ للحاق جماعته، ولينظر الهرم أن يؤخذ من ساعته، نفعنا الله وإياكم بعلومنا، ولا سلبنا فوائد فهومنا إنه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم."

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) امراسلة الباحث تفضلوا مشكورين على العنوان التالى: كلية التربية – جامعة الزقازيق – فرع بنها قسم الصحة النفسية – سليمان بن رجب سيد أحمد.

المصادر والمراجع

أبو

١- أبو الفرج (جمال الدين بن الجوزى): تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، (طنطا: دار الصحابة للتراث، ١٩٩١ م).

٢- أبو الفرج (جمال الدين): لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، تحقيق: الشحات الطحان، (المنصورة: دار لكلمة للنشر والتوزيع، ٢٠٠١ م).

٣- أبو النصر (مبشر الطرازى الحسينى: الإسلام الدين الفطرى الأبدى، ط (بيروت دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م).

٤- ابن عطاء الله السكندرى: الحكم، بشرح محمد أبو العلا، ط (القاهرة: مكتبة الجندى، د. ت).

٥- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين ومنازل السائرين، (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، د. ت).

٦- ابن منظور: لسان العرب، م° (بيروت: دار صادر، ١٩٩٠ م).

ال

٧- الثعالبى: فقه اللغة وسر العربية (القاهرة: دار الاستقامة، ١٣٧٨ هـ).

٨- الزين عباس عمارة: مدخل إلى الطب النفسى (بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٦ م).

٩- الفيروز ابادى (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، ط٢ (القاهرة: مؤسسة الرسالة، د. ت).

١٠- السيد عبد الستار المليجى: أصنام فى ساحة التعليم، دعوة لإنقاذ الأمة قبل فوات الأوان (القاهرة: مركز الإعلام العربى، ١٩٩٤م).

الألف

١١- أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، ط ٩ (القاهرة: المكتب المصرى الحديث، ١٩٧٣م).

١٢- إبراهيم الدسوقي مرعي: الطفولة في الإسلام، (شباب محمد، (١٠)) (القاهرة: دار الاعتصام، ١٣٩٩ هـ).
١٣- ألفت محمد حقي: علم نفس النمو، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢م).
١٤- أمين عبد المعبود زغلول: رعاية الطفولة في الشريعة الإسلامية، ط٢ (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٤ م).

التاء

١٥- تينابروس: أسس التعليم في الطفولة المبكرة، ترجمة ممدوح محمد سلامة، (القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢ هـ).

الجيم

١٦- ج. بياجية: الحكم الخلقي عند الأطفال، ترجمة محمد خيري ومراجعة محمد ثابت الفندي، (القاهرة: دار الطباعة الحديثة ١٩٥٦ م).
١٧- جمال الكاشف: كيف تتعاملين مع أبنائك، (القاهرة: دار الطلائع، ١٩٩٤م).

الحاء

١٨- حامد الفقي: دراسات في سيكولوجية النمو، ط٥ (الكويت: دار القلم، ١٩٩٣م).
١٩- حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو، ط٥ (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٧ م).
٢٠- حسن ملا عثمان: الطفولة في الإسلام، مكانتها وأسس تربية الطفل، (الرياض: دار المريخ للنشر، ١٩٨٢ م).
٢١- حسن أيوب: السلوك الاجتماعي في الإسلام، (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٦ م).

٢٢- حسن محمد حسان: دور الحضانة ورياض الأطفال فى المملكة العربية السعودية، نظرة تحليلية، رسالة الخليج، العدد العشرون (مكتب التربية لدول الخليج، ١٩٨٦ م).
٢٣- حسن الشرقاوى: التربية النفسية فى المنهج الإسلامى (مكة: رابطة العالم الإسلامى، ١٤٠٥ هـ).
٢٤- حسن الشرقاوى: الشريعة والحقيقة (الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦ م).

الزاى

٢٥- زكريا إبراهيم: مشكلة الحب، ط٢ (مشكلات فلسفية، (٥) (القاهرة: مكتبة مصر، د. ت).

السين

٢٦- سعد جلال: الطفولة والمراهقة، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٨٥ م)
٢٧- سعدية محمد بهادر: فى علم نفس النمو، ط١٠ (القاهرة: دار البحوث العلمية، ١٩٩٤م).
٢٨- سمية فهمى: حياتنا فى ضوء علم النفس (القاهرة: مكتبة النهضة العربية، ١٩٧٩ م).
٢٩- سهير كامل أحمد: سيكولوجية نمو الطفل، دراسات نظرية وتطبيقاً عملية، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٢ م).
٣٠- سيد أحمد عثمان: الإثراء النفسى، دراسة فى الطفولة ونمو الإنسان، ط ٢ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٤ م).

الشين

٣١- شارلز. ليونارد: لماذا ينحرف الأطفال، ترجمة: محمد نسيم رأفت (دراسات سيكولوجية، (٢)) ط٤ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤م)

الصاد

٣٢- صالح عبد العزيز: التربية وطرق التدريس، ط٥ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢ م).

العين

٣٣- عبد البارى محمد داود: الطفولة فى الميزان العالمى، (كفر الدوار: درا فجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠١ م).

٣٤- عبد البارى محمد داود: القدوة الصالحة وأثرها فى تنشئة الطفل، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩٦ م).

٣٥- عبد الفتاح دويدار: سيكولوجية النمو والارتقاء، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٣م).

٣٦- عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد فى الإسلام، ط٢، م١، م٢ (بيروت: دار السلام، ١٩٩٧م).

٣٧- عبد المطلب القريطى: فى الصحة النفسية (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٨م).

٣٨- عبد اللطيف حسين فرج: مفاهيم أساسية لتربية الأطفال (الرياض: دار المريخ، د. ت).

٣٩- عبد الغنى عبد اللطيف: حقوق الطفل فى الجمهورية اليمنية، مجلة الصحة النفسية، العدد (١٢)، (اليمن: الجمعية النفسية اليمنية، سبتمبر، ١٩٩٦ م).

٤٠- عبد العزيز القوصى: أسس الصحة النفسية، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٥ م).

٤١- عبد الرحمن العيسوى: النمو الروحى والخلقى مع دراسة تجريبية مقارنة (الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م).

٤٢- عبد الرحمن العيسوى: مشكلات الطفولة والمراهقة أسسها الفسيولوجية والنفسية، (بيروت: دار العلوم العربية، ١٩٩٣م).
٤٣- عبد الرحمن العيسوى: الإسلام والعلاج النفسى، (الإسكندرية: دار الفكر الجامعى، ١٩٨٦ م).
٤٤- عبد المقصود عفيفى: القرآن والمجتمع، (القاهرة: مطبعة النيل الحديثة، ١٩٥٣م).
٤٥- عثمان عبد الرحمن جبريل: التربية الإسلامية تعليمها وتعلمها (الإسكندرية: نور للطباعة والنشر، ١٩٩٥م).

الفاء

٤٦- فرج عبد القادر طه وآخرون: موسوعة علم النفس والتحليل النفسى، (الكويت: دار سعاد الصباح، ١٩٩٣م).
٤٧- فوزية دياب: نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، ط٣ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩ م).
٤٨- فؤاد أبو حطب وآمال صادق: نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، ط٤ (القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٩٩ م).

الكاف

٤٩- كلير فهمي: الحب والصحة النفسية لأبنائنا، [اقرأ، (٤٢٥)] (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥ م).
٥٠- كمال إبراهيم مرسي: المدخل إلى علم الصحة النفسية، (الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، ١٩٨٨ م).
٥١- كمال دسوقي: النمو التربوى للطفل والمراهق، دروس فى علم النفس الارتقائى (نسخة مصورة من مطابع جامعة الزقازيق، ١٩٨٥ م).

الميم

٥٢- محمد أحمد كنعان: أزمات الشباب، أسباب وحلول، [لئلا ننسى، (٣)] (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٩١ م).

٥٣- محمد بيصار: العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، ط٣ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢ م).
٥٤- محمد جمال الدين محفوظ: التربية الإسلامية للطفل والمراهق، (القاهرة، نشر المؤلف، د. ت م).
٥٥- محمد عودة ومحمد رفقي عيسى: الطفولة والصبا، ط٢ (الكويت: دار القلم، ١٩٩٣م).
٥٦- محمد على الصابوني: النبوة والأنبياء، ط٢ (القاهرة: مكتبة الغزالي، ١٩٨٠ م).
٥٧- محمد حسين: العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم، (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٨ م).
٥٨- محمد صفوت نور الدين: مسئولية الأسرة نحو تربية الأبناء، افتتاحية مجلة التوحيد، سنة ٢٩ (القاهرة: مجلة التوحيد، العدد الخامس، جمادى الأولى سنة ١٤٢١ هـ).
٥٩- محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس، (بيروت والقاهرة: دار الشروق، ١٩٨٢ م).
٦٠- محمد حامد الناصر وخولة درويش: تربية الأطفال في رحاب الإسلام في البيت والروضة (جدة، مكتبة السوادي، د. ت).
٦١- محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ص٢، ط٤ (بيروت: دار الشروق، ١٩٨٣ م).
٦٢- محمد عبد الرحيم عدس وعدنان عارف مصلح: رياض الأطفال، ط٣ (الأردن: دار الفكر، ١٩٩٩م).
٦٣- محمد السيد الزعبلاوي: تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس رسالة دكتوراه منشورة، ط٣ (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٧م).

٦٤- محمد عطية الإبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط٤ (القاهرة: مكتبة عيسى الحلبي، ١٩٨٥ م).

٦٥- محمد عطية الإبراشي: عظمة الإسلام، ط [مكتبة الأسرة] (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٢ م).

٦٦- محمد عطية الإبراشي: التربية والأخلاق في الإسلام، (مقال منشور بمجلة منبر الإسلام، العدد ١٢، ١٩٦١ م).

٦٧- محمد سلامة محمد غباري: مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث، العلاج الإسلامي ودور الخدمة الاجتماعية فيه ط٢ (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٩ م).

٦٨- محمد حسن كاعش: الطفل والتربية والتعليم، مجلة الصحة النفسية، العدد (١٢) (اليمن: الجمعية النفسية اليمنية سبتمبر، ١٩٩٦ م).

٦٩- محمد مصطفى زيدان: النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية (جدة: دار الشروق، د. ت).

٧٠- محمد محمود محمود: علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام (جدة: دار الشروق، د. ت).

٧١- محمد علي قطب: فضل تربية البنات في الإسلام (القاهرة: مكتبة القرآن، ١٩٨٥ م).

٧٢- محمود محمد عمارة: تربية الأولاد في ظل الإسلام، ط٢ (القاهرة: دار التراث العربي، ١٩٨٤ م).

٧٣- محمود السروجي ومصطفى عبود إبراهيم حسن: موسوعة الأم والطفل (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٥ م).

٧٤- مصطفى العدوي: فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء، (الزقازيق: دار ابن كثير، ١٩٩٨ م).

٧٥- مصطفى فهمى: الصحة النفسية، دراسات فى التكيف، ط٢ (القاهرة: مكتبة الخانجى، ١٩٨٧ م).
٧٦- مصطفى كامل: هذا هو منهج الإسلام فى التربية (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٤١٣ هـ).

النون

٧٧- ناريمان محمد رفاعى: علم نفس النمو، مذكرات غير منشورة، كلية التربية ببنها، قسم الصحة النفسية.
٧٨- نبيه الغبرة: المشكلات السلوكية عند الأطفال، ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامى، ١٩٧٨ م).
٧٩- نبيه إبراهيم إسماعيل: الصحة النفسية للطفل فى ضوء الأثر الإيجابى للحاجات الأساسية للنمو والتغيرات الحياتية، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٩ م).
٨٠- نبيل محمد السمالوطى: الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، ط٢ (جدة: دار الشروق، ١٩٨٤ م).

الياء

٨١- يوسف القرضاوى: الإيمان والحياة، ط١٢ (القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠١ م).

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
أنا خلقناهم من طين لازب	الصافات		٣٠
تتجافى جنوبهم عن المضاجع	السجدة	١٦	٨٠
ثم نخرجكم طفلا	الحج	٥	١٧–٣٣
ثم يخرجكم طفلا	غافر	٦٧	١٧
ثم إنكم بعد ذلك لميتون	المؤمنون	١٦	٣٢
خلق الإنسان من صلصال كالفخار	الرحمن		٥٠
ذلك عالم الغيب والشهادة	السجدة	٩–٦	٥٠
قد أفلح من زكاها	الشمس	٨–٧	٣
فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا فخلف من بعدهم خلف	الكهف	١١٠	٧، ٩٩، ٥٢
فلينظر الإنسان مم خلق	الطارق	٩–٥	٣١–١٧ –٣٢
فأما من طغى	النازعات	٣٧	٥٣
قتل الإنسان ما أكفره	عبس	١٩	١٧
فطرة الله التي فطر الناس عليها	الروم	٣٠	٩٧
فأقم للدين وجهك للدين حنيفا	الروم	٣٠	٧٥
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر	الأنعام	٦٣	٧٧
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني	آل عمران	٣٠	٧٨
قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى			٧٩
قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم	الزمر	١٩	٨٠
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة	الحشر		١١٨
محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار	الفتح	٢٩	٨١
من عمل صالحاً من ذكراً أو أنثى	النمل	٣	٩٧
ما لكم لا ترجون لله وقارا	نوح		٢٩
هل أتى على الإنسان حين من الدهر	الإنسان	١	٣٠
هدى للمتقين	البقرة	٢	٨
هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض			٣٢

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم	آل عمران		٨١
هو الذى يسيركم فى البر والبحر	يونس	٢٢	٩٨
وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم	النور	٥٩	٣٥
وفى السماء رزقكم وما توعدون	الذاريات	٢٢	٨١
وما جعله الله إلا بشرى	الأنفال	١٠	٧٩
والذين آمنوا أشد حباً لله			٧٩
وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو	الأنعام	٣٢	٧٦
وإذا أخذ ربك من نبى آدم	الأعراف	١٧٢	٥٠-٧٧
وما أمروا إلا ليعبدوا الله		٥	٨-٧٩- ١٨
ولقد خلقكم أطواراً	نوح	١٤	١٧
ولا يجدون فى صدورهم حاجة	غافر	٧٩- ٨٠	٥٩
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين	المؤمنون		٣٢
ولقد خلقنا الإنسان فى كبد	البلد	٤	٥٣
وهديناه النجدين	البلد	٤	٥٣
والله أنبتكم من الأرض نباتاً	نوح	١٧- ١٨	٣١
ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه	ق	١٦	٣٢
والله أخرجكم من بطون أمهاتكم	النحل	٧٨	٣١
ولقد كرمنا نبى آدم وحملناهم فى البر والبحر			٢٩
والله يحب المحسنين			٨
والله يحب الصابرين			٨
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	الذاريات	٥٦	٣-٨- ٣١- ١٠٨
وإن الدار الآخرة لهى الحيوان	العنكبوت	١٤	٤٨-٣٢

وخلق الإنسان ضعيفا	النساء		٥٠
يا أيها الناس اتقو ربكم الذى خلقكم	النساء	١	٢٧
يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم			٣
يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم	التحريم	٦	١٤- ١٠٨
يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم	النور	١٥٨	٥٨
يا أيها الناس إنا خلقناكم	الحجرات	١٣	١٧
يوصيكم الله فى أولادكم	النساء	١٢	١٤
يا أبت افعل ما تؤمر	الصافات	١٠٢	١٦
فى بطون أمهاتكم خلقا	الزمر	٦	١٧
يخادعون الله والذين أمنوا	البقرة		٨١

فهرس الحديث الشريف

فهرس الإعلام

فهرس الشعر

فهرس الموضوعات

مطابع الدار الهندسية/القاهرة
تليفون/فاكس : (٢٠٢) ٥٤٠٢٥٩٨



صدر أيضاً للناشر

في مجال علم النفس

● ركائز البناء النفسي	أ.د. حمدي الفرماوي
● خلافات المسلمين - رؤية نفسية	أ.د. عبد المنعم شحاتة
● أنا والآخر "سيكولوجية العلاقات المتبادلة"	أ.د. عبد المنعم شحاتة
● اكتشف شخصيتك وتعرف على مهاراتك في الحياة والعمل والقيادة	أ.د. مدحت أبو النصر
● علم النفس الاجتماعي المعاصر	أ.د. عبد الحليم محمد
● من الدراسات النفسية في التراث العربي الإسلامي	أ.د. نبيه إبراهيم إ
● عوامل الصحة النفسية السليمة	أ.د. نبيه إبراهيم إ
● تأهيل ورعاية متحدي الإعاقة	أ.د. مدحت أبو الند
● من تطبيقات علم النفس	أ.د. عبد المنعم شـ
● علم النفس الإكلينيكي	د. إلهام عبد الرحمـ
● الإبداع والصراع	د. أيمن عامر
● دراسة في المقارنة بين التقييم الدينامي والتقليدي باستخدام نظرية (PASS) للذكاء	أ. حنان فتحي الشـ

إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع
١٢ شارع حسنين كامل سليم - الماظة - مصر الجديدة - القاهرة
ت : ٤١٧٢٧٤٩ - فاكس : ٤١٧٢٧٤٩ - ص.ب : ٥٦٦٢ هليوبوليس غرب - رمز بريدى ١١٧٧١